الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية: الآداب واللغات قسم الأدب العربي

المكون الملحمي في السيرة الشعبية

(سيرة عنترة بن شداد أنموذجا)

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذة :

✓ مروة قدوري ✓ سلاف بعزيز

لجنة المناقشة

د.الساسي عمامرة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا
أ.بعزيز سلاف	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
أ.ثورية برجوح	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي:1437/1436هـ ـ 2016/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾

[طه: 21]

شكر وعرفان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢]

الحمد لله الواحد القهار،العزيز الغفار مقدر الأقدار.

أحمده وأشكره على توفيقه وعونه لي، ومد الطاقة و التبصِرة لانجاز بحثي.

نتقدم بجزيل الشكر و الامتنان للأستاذة الفاضلة : سلاف بعزيز على كرم قبولها الاشراف على مذكرتي وعلى جهدها الدؤوب في مساعدتي على إتمامها وقطف ثمار البحث،أحيّ فيها النية الخالصة والتفاني الحرّ في عملها،أدامها الله ذخرًا للعلم وأطال لنا في عمرها.

كما أتقدم بعظيم الشكر إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي الذين ساعدونا في حمل راية تخصص الأدب الشعبي في جامعة حمه لخضر

فلهم لنا حق التقدير والاحترام.

ولابد من شكر الطلبة الذين مدوا لي يد العطاء: هارون فضيلة ، هارون ياسين وكل من شجعني وساندني من قريب أو من بعيد، ولو بكلمة طيبة فله الشكر.

وأشكر كل من تفضل بتقويم هذه الدراسة ومناقشتها راجية منه ألاّ يبخل عليا بتقديم التوجيهات النقدية الصائبة.

مقدمة

يعتبر الأدب الشعبي من فنون التعبيرات الشعبية التي هي بدورها فرع من التراث أو المأثورات الشعبية، المعبرة عن وجدان الجماعة من منظور جمعي بعيداً عن التصنع باعتباره أدب عامة الناس فهو يعكس الكثير من حياة الشعب، وأفكاره وآمانية، ومشاكله، وأحاسيسه؛ أي يستغرق مظاهر الحياة الشعبية قديمها وحديثها ومستقبلها، ويضم الكثير من الفروع منها: الحكايات والأساطير والخرافات، والمعتقدات، والأغاني، والأشعار، والألغاز، والسير.

وتعد السيرة الشعبية نوع من أنواع القصة في الأدب الشعبي العربي ذات قيمة عظيمة، فهي تصور الحياة الإنسانية من كل جوانبها، التطورات التي تطرأ عليها عبر الزمن، قد ظل الناس يتناقلونها شفاهياً ويروونها، فهي تتابع مراحل حياة البطل الذي تنسب إليه السيرة، ويبثون في تلك المراحل قيمهم وحكمتهم وخبراتهم التي تحصلوا عليها من خلال تجاربهم وينسبونها للبطل، لأنهم يجدون في السيرة كغيرها من أجناس الأدب الشعبي الأخرى ما يعبر عن أفكارهم، لما تحمله من روح شعبية مما جعلها تمثل إحدى العلامات التراثية الشعبية والتي حضت باهتمام الدارسين أمثال فاروق خورشيد، ومحمود ذهني، ونبيلة إبراهيم والتي خصصت دراسة كاملة حول سيرة الأميرة ذات الهمة.

ومن هنا يمكننا الحديث عن أهمية الموضوع الذي اخترناه لبحثنا والذي جاء موسوماً بـ "المكون المحلي في السيرة الشعبية" وجاء في الاختيار " لسيرة عنترة بن شداد أنموذجاً".

وكان الاختيار لهذا الموضوع للأسباب الآتية:

- رغبتي في التعرف على المكانة التي تحضى بها السيرة.
- دراسة الشخصية باعتباره أهم مكون تقوم عليه السيرة.
- قلة الدراسات التي تناولت ملحمية السيرة.
- الرغبة في توسيع الرؤية لشخصية عنترة بعيداً عن معلقته.
- بيان مدى تداخل الأشكال التعبيري الملحمي في السيرة .

ولا شك أن لكل بحث إشكالية رئيسية تتفرع منه عدة إشكالات أخرى، فالإشكالية الأساسية التي تنطلق منها هذه الدراسة:

- هل الأجناس الأدبية الشعبية مستقلة بذاتها؟

- ما أهمية المكون الملحمي في البناء السردي للسيرة؟

أما عن الإشكاليات الفرعية فهي مجموعة من الأسئلة وهي:

- هل نستطيع أن نقدم مفهوماً عاماً لجنس السيرة الشعبية في ظل ذلك التداخل بين مفاهيم الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى؟
- كيف صورت السيرة الشعبية شخصية عنترة بن شداد؟ وما هي الصفات التي تجسدت فيه وجعلته يرتقي للأبطال؟
- كيف رسم المبدع شخصية البطل على حساب الحقيقة التاريخية؟

واقتضت طبيعة موضوعنا اعتماد المنهج الوصفي تحليلي.

وللإجابة على هذه الإشكاليات اتبعت الخطة الآتية: قسمت الدراسة إلى مقدمة وفصل نظري وآخر تطبيقي وخاتمة وملحق.

فالمقدمة عبارة عن لمحة عامة عن الموضوع، أما الفصل النظري (الأول) الذي يحمل عنوان "السيرة الشعبية مقاربة مفاهمية: تناولت فيه مفهوم السيرة من خلال دلالتها اللغوية والاصطلاحية عند العرب كما أشرت إليها عند الغرب، ثم تعرضت لمفهوم السيرة الشعبية وأنواعها، والتغيرات التي طرأت عليها وأماكن تداولها، ثم السيرة الشعبية والأجناس الأدبية الأخرى التي تتداخل معها، ليأتي بعد ذلك خصائص السيرة الشعبية التي مَيَّزْتها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى لنخلص إلى وظيفتها.

أما الفصل التطبيقي (الثاني) والمعنون بـ"المكون الملحمي في سيرة عنترة بن شداد" الذي قسمته إلى خمسة مباحث فتناولت في المبحث الأول رسم شخصية البطل، أما المبحث الثاني فقد درست المواقف الشجاعة "لعنترة بن شداد"، أما المبحث الثالث القتال والمواقف العظيمة، ثم تعرضت لحياة الشعب لنخلص لتوظيف عنصر الدين والحكي التاريخي. ومن أبرز المصادر والمراجع المعتمدة هي:

- سعيد يقطين، قال الراوي " البنيات الحكائية في السيرة الشعبية"
- فاروق خورشيد ومحمود ذهبي، فن كتابة السيرة الشعبية

- محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي
- نور هدى لوشين، وقفة مع الأدب الملحمي
- مرسي صباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث

ومن أبرز الصعوبات التي واجهتني في انجاز هذا البحث هي ضخامة متن السيرة، فهي تنقسم إلى ثمانية مجلدات،أيضاً استخلاص مواقف القتال من نصوص السيرة مع الحضور القوي لبطولات عنترة، كذلك قلة المراجع التي تخدم البحث "ملحمية السيرة الشعبية"، وعسر الحصول على بعض المراجع الجوهرية التي تمنيت أن تكون موظفة في دراستي ولكنني تجاوزتها بفضل مراجع كانت سندا لي وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقدم جزيل الشكر للأساتذة المشرفة "بعزيز سلاف" وآمل أن يكون هذا البحث قد أضاف ولو بالقليل ليسير شيئاً إلى الدراسات السابقة.

وأقرو أن هذا جهد باحثة مبتدئة تخطأ وتصيب لاشك، وإنني على يقين أن الملاحظات والتوجيهات التي أتلقاها من أساتذتي الكرام ستصوب أخطائي بإذن الله في قادم الأبحاث.

على الله توكلت وإليه أنيب

الفصل الأول

السيرة الشعبية مقاربة مفاهيمية

تمهيد:

تعد السيرة الشعبية أكثر الأشكال التعبيرية في الأدب الشعبي، انفتاحا على بقية أشكال التعبير الأخرى سواء النثرية أو الشعرية، فهي تمثل عالما فسيحا وحيا، وذلك لما تملكه من خصوصيات ومزايا فنية وشكلية ومضمونية سهلت لها استقطاب العديد من الأشكال الفنية والأدبية في حركة تناغم وتفاعل سلسة مرنة لا يمكن فهم فوارقها ومزاياها إلاّ من خلال النظرة المتفحصة الدقيقة، فما حقيقة السيرة لفظاً واصطلاحاً؟ وما علاقة السيرة الشعبية بالأشكال الأدبية الأخرى؟ وما هي السّمات التي تميزها؟

المبحث الأول: مفهوم السيرة

أ- السيرة في اللغة:

أشارت المصنفات المعجمية العربية إلى المدلولات المتنوعة لكلمة سيرة حيث ورد في مقاييس اللغة تحت مادة: السين والياء والراء "أصل يدل على مضّى وجريان، يقال سار، يسير سيراً وذلك يكون ليلاً نهار، والسيرة الطريقة في الشيء والسنة لأنها تسير وتجري"[1]، يتضح أن كلمة "سيرة" عند ابن فارس (ت 395هـ) تحمل معنى الطريقة والسنة.

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) تحت مادة (س، ي، ر): " السيرة السّنةوقد سارتْ وسِرْتها"، يقول الشاعر:

فَلا تُجْز عَنْ مَنْ سُنَّة أَنْتَ سرتها فأول راضٍ سُنَّة من يسيرُها

أي أنت جعلتها سائر بين الناس، سار الشيءُ وسِرْتُه، فَعَمَّ، والسَّيرةُ: الطريقة، يقال سار بهم سيرة حَسَنَة، والسيرة الهيئة وفي قوله تعالى:﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾[طه:21].

وسيَّرَ سيرة: حدَّث أحاديث الأوائل.

وسار كلام والمثل في الناس أي شاعَ.[2]

يتضح جلياً تعدد دلالات كلمة "السيرة" عند ابن منظور ويقصد بها :

السنة والهيئة والطريقة وأحاديث الأوائل و الشيوع.

والمعاني ذاتها أشار إليها "قاموس المحيط" لفيروز أبادي (ت 817هـ) فالسيرة بالكسرة: السُنة والطريقة والهيئة والميرة[3] كذلك في معجم "المنجد في اللغة والأدب والعلوم" نجد الدلالات نفسها والسنة والهيئة والطريقة والمذهب، سَيْرَة الرجل: صحيفة أعماله، كيفية سلوكه بين الناس يقال حسن السيرة أي حسن السلوك بين الناس فيقولون سيرة عنترة أي قصته.[4]

---

[1]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج3، ص 120.

[2]- ابن منظور،لسان العرب، دار صادر ، بيروت، 1990م، مج4 ، ص 390.

[3] - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: إشراف العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005م، ص 55.

[4] - المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط5، المطبعة الكثوليكية، بيروت، لبنان، 1927م، ص 368.

ذات الدلالة أشار إليها "معجم الوسيط" حيث السيرة: "السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، وكتب السيرة مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة".[1]

ونستخلص مما سبق مصطلح السيرة له عدة دلالات لغوية أشارت إليها تضاعيف المعجمات العربية وهي: الطريقة والسنة والهيئة.

أما في المعاجم الأجنبية فنجد مصطلح السيرة ما يقابله بالأجنبي وهو légende وجاء في المعجم الفرنسي larousse تحمل دلالة: "قصة أو حكاية شعبية مدهشة لأحداث من الماضي طورتها العادات والتقاليد والخيال الشعري للإنسان".[2] ونجد كذلك مصطلح légende في المعجم الإنجليزي oxford التي تحمل معنى: "هي القصة أو قصص قد تكون حقيقية أو خيالية، متوارثة عن القدماء".[3]

ب- السيرة في الاصطلاح:

ترى أمينة فزازي "بأنها القصة المتعلقة بحياة شخصية من الشخصيات أو جماعات أو شعب من الشعوب؛ وعادة ما تكون تلك الشخصية أو تلك الجماعة ممن أقر التاريخ وجوده وعرفت به كتب التاريخ".[4] أي أنها تصور حياة شخصية أو جماعة لهم أثر كبير في التاريخ. كما نجد أنها أخذت معنى الحكاية القصصية أكثر من الحقائق الواقعية، فالاصطلاح الشائع أن فلان يتحدث في "سير الناس" معناه أنه لا ينقل عنهم أحداثا واقعية مجردة وإنما ينتقي منها المثير والغريب والشاذ ثم يضيف إليها من تخيلاته ما يجعله أقرب إلي القصة المختلفة أو الخيالية ومن ناحية أخرى فإن لفظة "سيرة" ربما أخذت معنى الأخلاق والسلوك فتقول: "فلان حسن السيرة وفلان سيء السيرة" لتحدد مدى رضى الناس عنه أو غضبهم عليه.[5]

أما أدب السيرة فهو أدب يحكي حياة شخص بارز أو جماعة قليلة العدد تتبع ذلك الشخص ومع أنه أدب السيرة أدب إلا أنه أكثر ميلاً للتاريخ فقد كتب عدد من شخصيات العالم تاريخ

[1] - مجمع في اللغة العربية، معجم الوسيط، ط2، دار المعارف، مصر، 1972م، ص 467.

[2] - Larousse, edition limitée, paris, 2014,p 658.

[3] - exford, ben francis, richard poole, second edition, oxford university press, 2009,p476

[4] - أمينة فزازي، منهاج دراسات الأدب الشعبي، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011م، ص107-108.

[5] - ينظر: مرسي صباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء، الإسكندرية، ص41.

حياتهم على شكل سيرة. وهو أدب قديم عند العرب والغرب، وكان عدد من الأدباء العرب يختمون كتاباتهم بسيرتهم الذاتية لحياتهم، وكثيراً ما تفيد كتب السيرة الأدبية في معرفة جوانب من الحركات الأدبية والسياسية مما لا يظهر أحيانا في كتب التاريخ والأدب.[1]

ففي تراثنا العربي نجد أبا بكر محمد بن إسحاق بن ياسار بن خيار المدني الذي استعمل مصطلح "سيرة" في تاريخ حياة الرسول ﷺ، وبقي هذا المدلول حتى القرن الرابع الهجري حين كتب " ابن الداية" سيرة ابن طولون، فتطور المدلول من الخاص إلى العام، ولعل الاستعمال وحده هو الذي فرق بين الكلمتين في المدلول، حين استعملت "السيرة" لتواريخ الحياة المسهبة، والترجمة للتواريخ الموجزة.[2] وتعد السيرة النبوية التي كتبها ابن إسحاق هي " السيرة الأم" وهي النموذج التاريخي البطولي الذي يتغنى بسيرة النبي ﷺ باعتباره نبي الأنبياء وبطل الأبطال.[3]

ويرجع إحسان عباس سبب اهتمام المسلمين بسيرة الرسول ﷺ إلى عاملين كبيرين:

الأول: أن سيرة الرسول ﷺ جزء من السنة، فهي والحديث مصدران هامان من مصادر التشريع ومنهما تستفاد الأحكام، ولذلك فلا بد من جلائها في دقة بالغة، لكي تكون أعماله – إلى جانب أقواله– مشرعا واضحا لرجال الشريعة.

والثاني: أن المسلمين كانوا قد ورثوا نظرة الجاهلية إلى التاريخ، وهي نظرة قائمة على "الأيام" وطبيعة الحرب وشؤون القتال، ولذلك اهتم كتاب السيرة قبل كل شيء بمغازي الرسول ﷺ، وتطور ذلك إلى الدور الحربي الذي أدى إلى انتصار المسلمين في النهاية، ولم يكن هذا محض تقليد لنظرة الجاهليين بل كان في مستلزمات الجماعة الإسلامية ما يؤيده ويدعو إليه لأن الفتوحات الإسلامية التي انبثقت عن انتصار الإسلام في الجزيرة، كانت في حاجة إلى سند الرسول ﷺ في هذا المجال.[4]

[1] – ينظر: محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009م، ص 21.

[2] – ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ وفن، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1970م، ص 3.

[3] – محمد رجب النجار، التراث القصصي في الأدب العربي، ط1، مكتبة ذات سلاسل، الكويت، 1990م، ص 172.

[4] – إحسان عباس، فن السيرة، ط1، دار الشروق، عمان، 1996م، ص 13.

المبحث الثاني: مفهوم السيرة الشعبية

أطلق مصطلح السيرة الشعبية منذ النصف الأول من القرن العشرين على مجموعة من النصوص القصصية الطويلة التي تولدت في المجال المشافهة ورواها في ساحات المدن العربية الكبرى في المجالس والأرياف قبل أن تخرج المطابع الحديثة. ومصطلح السيرة ينبئ استعماله طي نصوص بتأثر الرواة الشعبيين أو على الأقل المؤلفين الأوائل بأدب السيرة في الثقافة الإسلامية وخاصة أن السيرة الشعبية تحمل اسم بطلها وتروي قصة حياته من الولادة إلى الوفاة، وهو أحياناً كثيرة شخصية تاريخية وردت أخبارها في كتب التاريخ والسيرة والأدب مثل عنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن ...إلخ

ويتجلى تأثير السيرة الشعبية بأدب السيرة في عناصر أخرى من أبرزها ابتداؤها أيضا ببيان النسب وذكر النبوءات المبشرة بميلاد البطل ومجده وقيام المسار الحدثي على صراع البطل من أجل تحقيق أهدافه، وما كان منتظراً منه ولكن ذلك لا يعني أن السيرة الشعبية قد أفادت من نصوص السيرة وحدها فأخبار الجاهلية وأيامها وأخبار الفتوح وقصص فرسانها قد مثلت روافد مهمة استقى منها الراوي الشعبي عناصر لتشكيل الأجواء الملحمية التي صورها، وقد استند أيضاً إلى تراث شفوي ومكتوب من الخرافات والحكايات الشعبية المليئة بالجن والسحر و قصص الأنبياء والأولياء والصالحين وكراماتهم.[1] ورغم أن ظهور السيرة كأدب شعبي حتى العصور الإسلامية إلا أنها ربطت بين هذه المرحلة الإسلامية من حياة المنطقة، وبين ماضيها الثقافي الوافد والموروث معاً، وإن كان هذا المزيج يَدْخلها كجزء من العطاء الشعبي الفني الإنساني بعامة، إلا أنه في نفس الوقت أعطاها خصوصية عربية مميزة، ثم أعطاها آخر الأمر القدرة على التعبير عن الواقع الحضاري الإسلامي في عصور المتعاقبة منذ انتشار الإسلام في المنطقة، وحتى بدء حركة النهضة الثقافية والعلمية والأدبية المعاصرة.[2]

ويُعرفها الدكتور "محمد رجب النجار" في كتابه "الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي بأنها: "جنس أدبي قائم بذاته، عماد السرد القصصي شعراً ونثراً، بالغ الطول، مجهول المؤلف يروي

[1] – محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ط1، دار محمد علي، تونس، 2010م، ص 263-264.

[2] – فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 45.

أو يؤدي شفاهيا ويحكي – من منظور الجمعي– الماضي القومي للشعوب والتاريخ الأبطال الحقيقيين أو الخياليين ومآثرهم العسكرية والقومية.[1]

تعتبر السيرة لونا أدبياً متواترا بالرواية الشفوية عبر الأجيال وتُرْوَى شعراً أو نثراً وتحكي بطولات الأبطال الواقعية أو الخيالية.

أما "رابح العوبي" يرى بأنها "تعبر عن موقف بطل ينتمي إلى قبيلة بعينها، وتزعمها هي وشعبها بغرض تغيير قيم أخلاقية ونظم اجتماعية وسياسية من شأنها أن تحد الفوضى، وتنشر الأمن والطمأنينة داخل البلاد"؛[2] أي أنه يهتم بشؤون قبيلة ويهدف إلى تغيير قيمها.

وهي عند "فاروق خورشيد" من إنتاج الخيال والتي اعتبرها ذخيرة أدبية كبيرة، قد كانت تطوراً فنياً لمراحل فنية أخرى سبقتها في الوجود، ذلك أن تاريخنا الأدبي ينقل لنا في أول مراحل حياتنا الأدبية أشتاتا من حكايات تدور حول العالم العربي القديم قبل الإسلام، وربما كانت بقايا أساطير عاشت في ضمير شعبنا العربي وتناقلها جيلا بعد جيل، وخاصة ما كان منها يتعلق بملوك جنوب الجزيرة من حميريين وتبابعه، وما كانت لأعمالهم في العالم القديم من أهيمه كبرى[3]، أما في كتابه "أدب السيرة الشعبية" أشار بأن السيرة الشعبية العربية تمتاز بأنها فن مستقل بذاته له قواعده وأصوله وله بناؤه الفني الخاص به، وله أهدافه الفنية والاجتماعية والسياسية التي استقل بها.[4]

وما نلاحظه أن فاروق خورشيد أشار إلى أن السيرة الشعبية صنف قائم بذاته دون أن يخلص إلى تعريف واضح.

أما "أمينة فزازي" تعريفها بأنها: "قصة شعبية مطولة شبيهة من حيث الطول بالروية في عصرنا الحالي، وهي شبيهة من حيث الموضوع بديوان العرب في الأنساب أو الترجمات التاريخية، فهي تترجم حياة شخصية من الشخصيات الشعبية التاريخية المعروفة كما هي الحال بالنسبة إلى سيرة

[1] – محمد رجب النجار، الأدب في التراث الشعبي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2006م، ص 22.

[2] – رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ص 35.

[3] – فاروق خورشيد، أضواء على السيرة الشعبية، منشورات اقرأ، بيروت، لبنان، ص 19.

[4] – فاروق خورشيد، أدب السيرة، ص 44.

عنترة بن شداد العبسي، أو تحكي سيرة قبيلة معروفة أو شعب معين مثلما هي الحال بالنسبة إلى سيرة بني هلال لكنها تتجاوز التاريخ الواقعي إلى الخيال الشعبي".[1]

أي أنها تأتي بقالب قصصي شبيهة بالرواية من حيث الطول و تقوم بتصوير أحداث وقعت لشخصية من الشخصيات التاريخية أو قبيلة من القبائل عُرفت عبر التاريخ.

فالسيرة الشعبية من حيث الشكل هي قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي وتحافظ على ثباتها –كوحدة دلالية– عبر فترة طويلة من الزمن – الزمن "الحالي" الخطي الممتد من الماضي فالحاضر فالمستقبل– ومجهولة المؤلف، ويمكن اعتبارها نتاج خيال شعبي غالبا، الإنسان هو بطلها الرئيسي، وقد تتضمن السيرة معطيات دينية، لكنها لا تؤلف بالأساس لتجيب على أسئلة "الأصول" بل لتسرد وقائع سيرة شخص ما يكون بطل السيرة الأوحد، بالإضافة إلى أشخاص متعددين تتفاوت أهميتهم حسب قربهم من البطل. وهي تحتوي أساسا تاريخيا يقوى ويضعف حسب السيرة، وحسب الظرف الحضاري المقوم الذي وجدت فيه. وهي قصة منزوعة القداسة بالضرورة وتحتوي على مبالغات تبدأ من مقدرة البطل على قتل عشرة مقاتلين بضربة سيف واحدة مثل عنترة بن شداد، لتصل إلى المشي فوق الماء بواسطة خاتم مطلسم كما في سيرة سيف بن يزن وهي قصة طويلة حجما– بالضرورة – وإلا تحولت إلى حكاية شعبية، كما أن السيرة الشعبية في الإطار الحضاري العربي تختلف عن أنواع أخرى من السيرة: كالسيرة الشخصية، السيرة النبوية، المناقب والتراجم وسير الأبطال والقادة المعاصرين.[2]

السيرة الشعبية تسرد أحداثاً متناقلة عَبْرَ فترة زمنية طويلة من جيل إلى جيل ويمكن اعتبارها نتاجاً خيالياً شعبيًا مبالغاً فيه.

ويرى "يوسف إسماعيل" بأنها تلك الملاحم التي تعيد إنتاج التاريخ، محملاً بالخرافات والأوهام وتحريف الحقائق والوقائع وهي بمعنى آخر ملامسة الوجه الآخر للتاريخ، وبمعنى أكثر دقة ترتكز في أحد وجوهها على إنتاج الماضي ونقصد بالماضي التراث الثقافي بشقيه المادي والروحي.

[1] – أمينة فزازي، منهاج دراسات الأدب الشعبي، ص 107،108.

[2] – شوقي رقادة، الشخصيات في السيرة الشعبية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007-2008م، ص 10.

ويرى بأن هناك علاقة ارتكاز وتماثل بين الأدب الشعبي والتاريخ، ففي علاقة الارتكاز يقتبس الأدب الشعبي من التاريخ ما هو شعبي في جوهره الإيديولوجي والفني، ويحصل ذلك بفضل الرواة المحترفين، فيرون على الناس ما تستوعبه ذاكرتهم من الأخبار والروايات التاريخية دون النظر إلى مفهوم الصدق التاريخي بمعنى علمي، لأن الصدق في الأدب الشعبي هو صدق الأصالة النفسية التاريخية.

ولا تكمل علاقة الارتكاز دون علاقة التماثل فالسيرة الشعبية حدث مستمر يواكب البيئة التي ينتشر فيها، ثم البيئة التي ينتقل إليها بالرواية الشفوية، فعلاقة التماثل سمة شعبية تجمع بين الثابت والمتحول، بدون ذلك تغدو السيرة الشعبية نصاً منحطاً لا ينتشر شفوياً ولا يتداول في وضعيات اجتماعية جديدة. ولتحقيق حالة التماثل لا بد من توفير ثلاث عوامل:

الراوي الناقل والموضوع والمستمع أو المستقبل يقوم الراوي بقراءة السيرة على المستمع، فتصبح دلالة موضوع مشتركة بينهما بالتالي يتحول المتلقي المستمع من مجرد كونه متلقيا إلى وضعية إيجابية فعالة ناتجة من ردة فعله تجاه الموضوع. كما أن الراوي بدوره يشن الموضوع المنقول بعدد من العناصر من خلال تجربته الشخصية ورؤيته للواقع بذلك يصبح المستمع حاملا لسمات التحول فهو يستمع لموضوع السيرة لأنه يماثل الأحداث التي عاشها.[1]

وظلت السير الشعبية تروى إلى زمن قريب وعلى رأس هذه السير، سيرة عنترة وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس وسيرة ذات الهمة وبني هلال. ويعود ذلك لعدة أسباب:

أولا: أن هذه السيرة تمجد البطولة العربية التي حاولت أن تنصر الإسلام والعرب ضد كل عدو مناوئ.

ثانيا: أن هذه السيرة أخزنت كل مواد التراث الشعبي العربي من أخبار وروايات ومعتقدات إلى غير ذلك.

[1] – ينظر: يوسف إسماعيل، الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب، سيرة الأمير ذات الهمة أنموذجا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م، ص 17-18.

ثالثا: صورت السيرة فضلا عن تصوير البطولة، الحاكم الصالح من وجهة نظر الشعب كما كان يتمناه الشعب ويحلم به، ولم يكن هذا الحاكم سوى فرداً من أفراد الشعب، ظهر فيه وأحس بأمله وآلامه وحقق له كل ما يطمح إليه من عدل اجتماعي ورقي سياسي.

رابعا: نادت السيرة الشعبية بقيم أخلاقية يحبها الشعب ويرفع من يتصف بها إلى مستوى إبن البلد المحبوب لديهم.

ولكل هذه الأسباب عاشت السيرة الشعبية في ضمير الشعب العربي وظلت تروى عبر السنين الطويلة إلى أن غَزَتْ البلاد العربية وسائل الحضارة الحديثة فاستغنى الناس بالإذاعة المسموعة ثم المرئية عن سماع السير. ولكن لحسن الحظ أن أدرك أفراد الشعب أنفسهم قيمة تراثهم، فقاموا بتدوينه خوفا عليه من الضياع. بل إنهم قاموا بتدوينه كما كان يروى، ولهذا فقد احتفظت السيرة الشعبية في مخطوطاتها ونشر منها، بأسلوب الرواية الشفاهية وبكل ما لهذا الأسلوب من مميزات وعيوب.[1]

وقسمت السيرة الشعبية إلى نوعين رئيسيين من ناحية الطريقة التي صيغت فيها هذه السير فنجد أن النوع الأول هو السيرة النثرية، والنوع الثاني هو السيرة الشعرية، وأقدم نوع من هذين النوعين هو السيرة الشعرية التي تطورت أو قل تخللتها عمليات التحوير والتبديل نتيجة تناقلها شفاها من راوي إلى آخر فأصبحت أقرب إلى النثر الفني منها إلى الشعر، فكان أن أصبح هذا النوع من السير أي السيرة النثرية أكثر شيوعاً وتداولا بين الرواة وكان الأصل في السيرة النثرية حفظ الحوادث التاريخية و أنساب العائلات في ذاكرة الإنسان.[2]

أما السيرة التي عرفها الفلاحون نوعان: نوع فيه الطابع العربي الإسلامي أو هو التقليد له وذلك شأنه شأن مجموعة أله ليلة من حيث استوائه في المدينة أكثر منه في القرية. والنوع آخر محلي أنشأه الفلاحون على غرار القسم الأول فاستعاروا الأسماء والأماكن، وملؤوا حوادث السيرة بتاريخهم الخاص وهذا ما نسميه بالسيرة الشفاهية.[3]

[1] – نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ص146.

[2] – لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1979م، ص 84.

[3] – محمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص 23.

وبداية السيرة الشعبية العربية لم تبدأ في البلدان العربية، بل في أوروبا، وكانت البدايات في القرون الوسطى وتتجلى بوضوح في ترجمة الرائعة لـ "ألف ليلة وليلة" والتي قام بها " أ.غلان".[1] وكان لها أثر كبير مما جعل بعض المستشرقين يدرسون على الحضارة والتراث العربي القديم.

وخلال القرن الحادي عشر والثاني عشر عرفت عشرات من السير الشعبية العربية طريقها إلى النور وانطلاقا من مضمونها يمكن التمييز بين مجموعتين، تشمل إحداهما السير التي يرجع إلى ثلاث عصور محددة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر ميلادي وتدور حول أبطال وثقي الصلة بالبيئات البدوية (عنتر بن شداد وزير سالم) والمجموعة الثانية التي ترجع إلى عصر المملوكي أي القرن الرابع عشر والخامس عشر ميلادي تدور أحداثها في الغالب داخل نطاق إحدى البيئات الحضرية بل المدنية، وكانت تتم بصفة عامة رواية السيرة الشعبية شفهيا خلال الأمسيات الليلية أمام الجمهور من الرجال الذين يدفعون مقابل الاستماع إليها. فقد ذكر "السخاوي" أنه خلال القرن الخامس عشر ميلادي، كان هناك طحان اسمه "خليل" يقيم في مدينة القاهرة يملك عدداً من الكراسي أعطاها الشيخ " بدر الدين شربدان الذي كان من أشهر الدعاة آنذاك كي يروي بها ما جاء أمام الجمهور. وكانت المقاهي الشعبية بمدن المشرق الكبير – دمشق وحلب والقاهرة– تشكل المقر الرئيسي لرواة السيرة الشعبية، وكثيرا ما كانت رواية السيرة داخل المقاهي الشعبية تتخذ شكلا مسرحياً.

بل كان هناك عدد من الرواة الذين يرتدون الملابس التنكرية ويضعون الخوذات على رؤوسهم ويحملون السيوف في أياديهم، بغية تجسيد شخصية الأبطال الرئيسيين على أفضل نحو ممكن وللوقف على حجم المكانة التي كانت تحتلها السير الشعبية ورواتها داخل المدن التقليدية بالمشرق العربي، لابد من الإشارة إلى كونها تعد أحد مصادر الترفيه القليلة التي يمكن الحصول عليها بعد يوم طويل من العمل الشاق، فقد كانت الجماهير الغفيرة تتدفق على هذه الجلسات للاستماع إلى الرواة.[2]

[1] – نعمة الله إبراهيم، السيرة الشعبية العربية، ط1، شركة المطبوعات لتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1994م، ص14.

[2] – توماس هرتزوج، السيرة الشعبية العربية بين الكتابة التاريخ والرواية، ترجمة: باتسى جمال الدين، مجلة النقد الأدبي فصول، ع67، 2005م، ص 243.

نستخلص من خلال ما تقدم بأن السيرة الشعبية هي فن قصصي له أهدافه الفنية والاجتماعية والسياسية، صور لنا البطولة و الخوارق رغم تداخله مع مفاهيم أخرى.

المبحث الثالث: السيرة الشعبية والأجناس الأدبية الأخرى

يفتقر مصطلح السيرة إلى مفهوم واضح ودقيق، ومراد ذلك تداخل مع مصطلحات أخرى تلتبس معه ويشترك في بعض الخصائص، التي منها: الملحمة والأسطورة... وغيرها.

1. ما بين السيرة الشعبية والملحمة:

الملحمة في اللغة هي الواقعة العظيمة القتل، وقيل موضع القتال[1]. أما في اللغة اليونانية فمعناها القصة أو الشعر القصصي الذي يختص بوصف القتال، والملحمة تعريب لكلمة Epos الإغريقية ويطلق على الشعر الملحمي باللغة الإنجليزية عبارة (epis-poetry) وكلمة (epis) مشتقة من epos اليونانية، ومعناها كلام أو حكاية. ويطلق عليها في اللغة الفرنسية épopée.[2]

فالملحمة هي قصة شعرية طويلة ذات اهتمامات بطولية وقد تكون الملحمة مدونة وشفاهية كما قد تجمع بين الخصيصتين أو المجالين وعادة ما تولد الملحمة من التقاليد الأدبية الشفوية.[3]

وللملحمة موضوع بطولي شعبي، هو صراع بين حضارتين، صراع من أجل البناء البشري والوجود الإنساني، فلذلك وجب على حروب الملاحم أن تدور حول الكرامة وحماية تراث، وإثبات حق وتدعيم مصير أو كيان حديث في ذلك الصراع يمتزج الواقع بالأسطورة، وتختلط الملائكة والجان والآلهة والبشر، والعقائد بالخرافات والوقائع بالخوارق...[4]

وهناك من الدارسين من أطلق مصطلح "الملحمة" على السيرة بل وزاد الأمر أن قام البعض الآخر وأجرى دراسات حول السيرة والملاحم ولم يفرق في دراسات بين الملحمة والسيرة فمثلا ذلك "محمد رجب النجار" في كتابه الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي بمزيج بين السيرة الشعبية والملحمة في قوله: "نقصد هنا بالأدب الملحمي العربي مجموعة ما يعرف – تداولياً– في البيئات الثقافية الشعبية العربية باسم السير باعتبارها خطابا أدبياً سردياً مجهول المؤلف، متواتر بالرواية الشفوية عبر الأجيال ويحكي بطريقة سردية سيرة حياة بطل أو بالأحرى الماضي الجميل للأمة العربية

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار الصادر، بيروت، 2004،مج12، ص 537.

[2] – نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، ط2،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2011م، ص 13.

[3] – شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، ط1، دار الحداثة، بيروت، ص 622.

[4] – جوزيف غريب الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، دار الثقافة، بيروت، ص 5-6.

من خلال تأريخها لحياة هذا البطل، والتغني بمآثره البطولية العسكرية والقومية والدينية والسياسية والأخلاقية والإنسانية على النحو المثالي، وتعكس من خلالها أحلام المجتمع الشعبي وتصوراته، كما تعكس أيضاً رؤية الضمير الجمعي العربي لنفسه وللعالم وللكون عبر تلك النصوص بين ما هو كائن وما يجب أن يكون وهذا التأريخ في حقيقته مزيج من الوقائع التاريخية والمبالغات الميثيولوجية".[1]

كما نجد "عبد الحميد يونس" – في معجم الفلكلور– يقول: "لقد عكف عدد من المتخصصين في مجتمعنا العربي على دراسة أدب الحروب على مدى التاريخ العربي، وأيام العرب تركيزاً لما لا يزال يتردد في الوجدان الشعبي وإن غلب مصطلح السيرة على الملحمة، والمحور الرئيسي الذي يميز الملحمة الشعبية هو الصدور عن الجودان الشعبي، وهذا ظاهر في ملحمتي الزبر سالم وعنترة وغيرهم..."[2]

ومثلما كان هناك من الدارسين ممن أطلق مصطلح السيرة على الملحمة ومزج بينهما هناك كذلك من فرق بينهما ومنهم "محمد رشدي صالح" الذي يرى بأن السيرة هي ملحمة شعرية يتخللها النثر – إذا كانت مدونة– موضوعها الظاهر هو الفروسية أو البطولة لكنها كثيراً ما تدور حول تاريخ واقعي لأصحابها.[3]

ومن خلال هذه المقولة نجد أن السيرة الشعبية تختلف عن الملحمة في الشكل إذا كانت الملحمة قصة شعرية فإن السيرة تتميز عنها كونها شعرية ويتخللها النثر.

وعند الأستاذ "شوقي عبد الحكيم" دراسة كاملة عن السير والملاحم الشعبية العربية حيث قام بحصر السير والملاحم العربية التي تجمعها الحروب والأخطار القارية والآنية بعامة. ثم حاول التفريق بين السيرة والملحمة بقوله: <<إن كلتيهما في معظم الأحوال موضوعها الجوهري هو الحرب والأحداث الجلل من حصارات وهجرات وسبى وخوارق وبطولات وفروسية...إلخ اللهم لاختلاف الوحيد بين السيرة والملحمة في الصياغة حيث تجنح لغة السيرة إلى الرواية وضوابطها التي تسرد

[1] – محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، ص21.

[2] – مرسي صباغ، القصص الشعبي العربي من كتب التراث، ص33.

[3] – محمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، دار الفكر، ج2، ص23.

بالحكي القصصي أو الروائي النثري دون أن يخلو الأمر طبعا من الشعر وإنشاده وهو ما يخلق الملحمة التي قوامها الشعر الغنائي أو الإنساني دون أن يخلو الأمر من حيث الصياغة اللغوية الروائية>>.[1]

ويُبَيِّنُ الأستاذ "شوقي عبد الحكيم" الاختلاف الوحيد بين السيرة والملحمة هو الصياغة حيث إن الملحمة قوامها الشعر بينما السيرة الشعبية قوامها النثر.

ونجد "محمود ذهني" الذي فرق بين السيرة الشعبية والملحمة في قوله <<إن السيرة والملحمة يختلفان تماما من حيث الشكل كما أنهما يختلفان من حيث المضمون، الأمر الذي يجعل إطلاق اسم الملحمة على السيرة الشعبية عملا بعيداً عن الموضوعية والدقة>>.[2]

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن السيرة الشعبية يمكن أن تشترك مع الملحمة في بعض الخصائص إلا أنها تختلف عليها من حيث الشكل على الأقل، فالسيرة الشعبية تحتوي على مقاطع شعرية ولكن حذفها يؤثر على السيرة تأثيراً طفيفاً.

2. ما بين السيرة الشعبية والأسطورة:

الأسطورة في معاجم اللغة العربية حملت معنى الأباطيل كما جاء في لسان العرب " الأساطير: أحاديث لا نظام لها"[3] وفي قاموس المحيط تعني: الكتابة والتأليف.[4] وسطر تسطير ألف وأتى بأساطير. ونجد ما يقابل هذا المعنى:

أ- الأسطورة في اليونانية Mythos وهي في الإنجليزية Myth وعلى ذلك فإن المعنى في اللغتين هو الشيء المنطوق أو الكلام المنطوق.[5]

وهي حكاية شعبية أو أدبية تضم كائنات خارقة وإجراءات خيالية التي تنقل الأحداث التاريخية.[6]

أما المعنى الاصطلاحي فاختلفت فيه الآراء حول تحديد مفهوم محدد وواضح؛ فهي عند "مرسيا إلياد" :تروي تاريخاً مقدسا وحدثا جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، وهو زمن البدايات

---

[1] – مرسي صباغ، القصص الشعبي العربي من كتب التراث، ص34.

[2] – فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، ط2، منشورات اقرأ، 1980م، ص 36.

[3] – ابن منظور، لسان العرب،مج4، ص363.

[4] – الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص404.

[5] – فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2004م، ص06.

[6] – Larousse, edition limitée, paris, 2014,p 715.

بعبارة أخرى تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل مآثر اخترعتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه حقيقة كلية كالكون مثلاً أو جزئية كأن تكون جزيرة، ولا تتحدث الأسطورة إلا كما حدث فعلا، أما أشخاص الأساطير فكائنات عليا نعرفهم بما قد صنعوه في الأزمنة القوية.[1] فالأسطورة في نظر "مرسيا إلياد" تروى قصة مقدسة وشخصياتها كائنات خارقة عليا.

ب- ويذهب البعض إلى أن الأسطورة هي قصص تحكي بطريقة خيالية رمزية عن البنية الأساسية الشاملة التي ترتكز عليها ثقافة ما.[2]

والواضح أن باحثين في تراثنا، لم يهملوا القديم من هذا التراث إلا أنه أسطوري، ولم يهملوا الأسطورة إلا لأنها تعنى بالخرافات واللامعقول أو أقاصيص الآلهة.[3]

والأسطورة من الأشكال التعبيرية التي استعانت بها السيرة الشعبية العربية؛ ذلك لما تحمله من أساليب ومضامين وبناء شكلي كذلك طبيعة أغراضها وأهدافها متناسبة مع طبيعة وأغراض وأهداف السيرة.[4]

ففي كتاب "الميثولوجيا عند العرب" "لعبد الملك مرتاض" نجد بأنه لا يفرق بين السيرة الشعبية والأسطورة حيث عرف السيرة الشعبية بأنها "قصة شعبية خارقة تقوم على أساس تاريخي".[5] وأطلق "عبد الملك مرتاض" اسم الحكايات الشعبية ذات أصول تاريخية على السيرة الشعبية وأدرج مفهومها ضمن مفاهيم الأسطورة.

أما "فراس سواح" فقد قدم في كتابه " الأسطورة والمعنى" مجموعة من نقاط يتميز فيها النص الأسطوري عن غيره من النصوص و منها:

- ✓ من حيث الشكل، الأسطورة هي قصة بما تحويه من حبكة وعقدة و شخصيات مصاغة في قالب شعري يساعد على سرعة تداولها وحفظها ويزودها بأثر على العواطف والقلوب.

[1] – مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ط1، ترجمة: نهاد خياطة، دار كنعان، دمشق، سوريا، 1991م، ص10.

[2] – كارم محمود عزيز، أساطير العالم القديم، ط1، مكتبة الناقد، الجيزة، 2007، ص 27.

[3] – سيد القمني، الأسطورة والتراث، ط3، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، مصر، 1999م، ص23.

[4] – صالح جديد، أشكال التعبير في السيرة الشعبية العربية، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، السنة السادسة، 2013م، ع 20، ص31.

[5] – عبد الملك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص15.

- ✓ يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن وتتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة إلى الجماعة دون أن يعني ذلك الجمود أو التحجر، فالفكر الأسطوري قادر على خلق أساطير جديدة أو تجديد الأساطير نفسها أو تعديلها.
- ✓ تؤدي الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة، فإن ظهر إنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكمل أو ثانوياً لا رئيسيا.
- ✓ تتميز موضوعات الأسطورة بالجدية والشمولية.
- ✓ تبعث الأسطورة رسالة غير زمنية وغير مرتبطة بفترة ما، بل إنها رسالة سرمدية خالدة.
- ✓ ترتبط الأسطورة ارتباطا وثيقا بنظام ديني وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه بحيث أنها تفقد كل مقوماتها إذا انفصلت عن هذا النظام، وتتحول إلى شيء آخر ليس بالأسطورة.
- ✓ تتمتع الأساطير بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم.

ثم يخلص الباحث إلى تعريف للأسطورة بقوله <<إن الأسطورة هي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يكشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان>>.[1]

ومن خلال ما تقدم يمكن أن تتفق السيرة الشعبية مع الأسطورة في بعض النقاط؛ فنجدها تتفق معها من حيث الشكل فالسيرة الشعبية قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات، وما إليها ولكنها تصاغ عادة في قالب نثري يتخلله الشعر، وتتفق معها من حيث الثبات عبر فترة زمنية وتناقلها من جيل إلى جيل، إلا أنها تختلف معها في بعض النقاط وتتمثل في البطل الرئيسي للسيرة الشعبية إنسان بينما للأسطورة آلهة وأنصاف الآلهة.

[1] – فراس سواح، الأسطورة والمعنى، ط1، دار علاء الدين للنشر وتوزيع،دمشق، سوريا، ص 12، 14.

3. ما بين السيرة الشعبية والأدب البطولي:

البطل في اللغة كما جاء في لسان العرب الشجاع وفي الحديث:

شاكي السلاح بطل مجرب ورجل بطل بين البطالة والبطولة: شجاع تبطل جراحته فلا يكترث لها ولا تبطل نجادته، وقيل إنما سمي بطلا لأنه يبطل العظائم بسيفه فيبهر بها وقيل: سمي بطلا لأنّ الأشداء يبطلون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران.[1] وجاء في الصحاح، البطلُ: الشجاع والمرأة بطلة وقد بطلَ الرجل بالضم يبطُلِ بطوله وبَطالة أي صار شجاعا، وبطل الأجير بالفتح بطالة أي تعطل فهو بطال.[2] و البطولة هي غلبة يرتفع بها البطل عمن حوله من الناس العاديين ارتفاعا يملأ نفوسهم له إجلالاً وإكباراً.[3]

لذا كان مفهوم البطولة أو الغلبة أو التفوق مصاحب للإنسان منذ وجد على هذه الأرض وقديما كان البطل في القبيلة وفي العصور الأولى للحياة بعد شخصا مقدسا لأنه إنسان متميز بها ويقدر على أشياء لا يقدر عليها الآخرون لهذا نظر إليه أحيانا أنه من سلالة الآلهة وهبة منها إلى البشر، وكلها أتى البطل بفعل عظيم أو نجا من قتل محقق. أو انتصر على عدو شرس أو تفانى في خدمة بشرية. ازداد الناس له تقديراً وتقديساً (...) والبيئة العربية تشهد بصراع الإنسان ضد جميع القوى من حوله. لهذا كان مفهوم البطولة بهذه الصورة على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي لكننا يمكن أن نحدد هذه الصورة في إطارات قد تضم كثيراً من الروافد في المجتمع العربي منها مثلاً: البطولات الخلقية وهي تلك التي تتعلق بصفات الإنسان مثل الكرم والجود والشرف... وبطولات نفسية تقوم على التحدي واحتمال الشدائد والتمسك بالحياة. وبطولات شعبية تتعلق بهؤلاء الأبطال الفوارس الذين عاشوا في ضمير الأمة العربية نماذج للدفاع عن الحق والكرامة الإنسانية.[4]

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مج11، ص56.

[2] – أبو النصر إسماعيل الجوهري، الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحداثة، القاهرة، 2009م، ص9.

[3] – شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ص09.

[4] – ينظر: أحمد سويلم، الشخصية العربية في التراث الأدبي، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م، ص187-188.

أما أدب البطولي يعرفه "بورايو" بأنه: ذلك الأدب الذي يعبر عن ذات الجماعة أو الشعور الجمعي، وهو دفع الباحث الفرنسي "جان بيار بيار" إلى رد تاريخ نشأة الأدب البطولي إلى فترة الظهور (القبلي) وسميت بذلك الفترة التي ظهر فيها البطولية بعصر البطولة[1] فهو لون من ألوان القصص الشعبي، أدبا ملحمي يتغنى بالبطولات الحربية عرف عن طريقه إلى الصياغة الفنية على يد رواة شعبيين منذ العصور الإسلامية الأولى وكان للصراع القائم بين العرب وغيرهم من الأمم التي اصطدموا بها دور قوي في بعثه وازدهاره.[2] وقال فيه بأنه: أدب موضوعي ذو طابع درامي يجنح إلى المبالغة في التصوير، ويستعين بمجموعة من العمليات السردية التي تتكرر في كثير من الأحيان بصيغ متشابهة مثل وصف ساحة القتال وعدة المقاتل ومقدراته القتالية والمعركة والانتصار.[3]

ومزج الوقائع التاريخية بالخيال، غير أن التاريخ ليس إلا قاعدة واقعية لبناء خيالي تلعب فيه الخوارق دورا كبيرا كالمعجزات والقدرات الخارقة للعادة والسحر...[4]

أما فيما يخص السيرة الشعبية فإن "عبد الحميد بورايو" يرى بأن أدب السيرة الشعبية ينتهي إلى ما يسمى بأدب البطولة، وتعود نشأته إلى فترة ظهور النظام الاجتماعي القبلي، عندما ظهر البطل – الإنسان–، بعدما أفسحت له آله الأساطير حيزا للممارسة الفعل البطولي فحقق بذلك البطولة الملحمية التي عبرت عن موقف ثمل الحياة، وإدارة لا تقهر في تغيير شروط الوجود البشري ونقلت الحياة البشرية من طور إلى طور، ظلت هذه البطولة مجسدة من خلال الملاحم وأدب السيرة الذي تنتمي إليه سيرنا الشعبية.[5]

يحاول أدب السيرة الشعبية أن يضعنا أمام قضايا تتعلق بتراثنا الثقافي والتاريخي، يريد أن يُوقظ فينا الشعور بالانتماء القومي، بحيث يكون موضوعه هو أدب البطولة، حيث يتعرض إلى مراحل حياة البطل، ويتتبع الوقائع والأحداث التي تنشأ بينه وبين المناوئين له في الحروب، ويذكر المساندين والموالين له في تحديد مصير قومه.

[1] – عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص93.

[2] – عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، الجزائر، 2007م، ص34.

[3] – عبد الحميد بورايو، الادب الشعبي الجزائري، ص93.

[4] – أحمد زغب، الأدب الشعبي درس وتطبيق، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2008م، ص29.

[5] – عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية، ص46.

أي أن موضوع السيرة الشعبية هو البطولة وتتبع حياة البطل منذ الولادته، ولذلك نلاحظ بأن السير تمجيد لأبطالها إلى درجة أن معظمها اتخذت من البطل عنوانا لها فسميت السيرة باسمه نذكر من بينها سيرة سيف بن ذي يزن وبطلها سيف، وسيرة عنترة وبطلها عنترة...إلخ.

المبحث الرابع: خصائص السيرة الشعبية

للسيرة الشعبية مجموعة من السمات التي تميزها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى ومن أهمها:

أ- بنية الإطناب: أول ميزة تتميز بها السيرة الشعبية العربية نجدها كامنة على صعيد التجلي النصي من حيث الكم، ذلك أن أغلب النصوص تملأ مئات الصفحات، وتتكون من عشرات الأجزاء الذي جعلها تتشكل من عدة مجلدات، فسيرة الأميرة ذات الهمة تصل إلى سبعة مجلدات وتضم خمسة آلاف وتسعمئة واثنين وتسعون صفحة، بينما عنترة تصل إلى ثمانية مجلدات تضم ثلاثة آلاف وستمئة وأربعة وعشرين صفحة، وسيرة الظاهر بيبرس خمسة مجلدات وتضم ألفين وستمئة.[1]

ولقد أثارت هذه الميزة كل الدارسين الذين استغلوا بالسيرة، وتباينت مواقفهم بشأنها. فنجد "عبد الحميد يونس" يشير إليها بقوله: "وتتسم هذه السيرة بصفة مشتركة هي الضخامة والتسلسل وهذا ما يفرقها عن الحكايات الحيوان وغيرها من الإبداع الشعبي المحتفل بالخوارق".[2]

وذهبت "ألفة الأدلبي" بالإتجاه نفسه بصدد حديثها عن سيرة سيف بن ذي يزن حيث تقول:" أما الذي يزعج القارئ تماما، ويجعله يزهد في متابعة القراءة هو كثرة التكرار إلى حد لا يطاق".[3]

ب- الطابع الشعبي: تولد السيرة الشعبية في رحم الواقع الشعبي التاريخي و الاجتماعي والثقافي والحضاري، وهي تجسده وتعبر عنه، عن طريق تحويل الواقع التاريخي إلى واقع أدبي شعبي والحقيقة المعيشة إلى حقيقة أدبية بالخيال[4] تعبر عن أحلام الشعب العربي همومه وقضاياه وتطلعاته الذاتية والموضوعية والفردية والجماعية، مما دفع بالشعب إلى البحث عن ذاته

[1] – السعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997م، ص 25.

[2] – عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي، المكتبة الثقافية، القاهرة، ص 59.

[3] – ألفة الأدلبي، نظرة في أدبنا الشعبي، نقلا عن: السعيد يقطين، قال الراوي، ص117.

[4] – أمينة فزازي، منهاج دراسات الأدبية الشعبية، ص110.

الجمالية والمعرفية في فنون قادرة على التعبير عنه فكرياً وإبداعياً فكانت السيرة الشعبية أصدق تعبير وتصوير للشعب.[1]

ج- **الشخصيات**: يزخر عالم السيرة الشعبية بمختلف أصناف وأشكال الشخصيات إلى درجة التي يصعب معها عد هذه الشخصيات أو إحصاؤها. شخصيات كثيرة تظهر وأخرى تختفي، و بما أن السيرة على الصعيد المادة الحكائية تقوم على إطناب الذي تتولد من خلاله وبشكل دائم بنيات ووحدات حكائية جديدة. كان اللازم أن تبرز وباستمرار شخصيات جديدة تتصل بإحدى تلك البنيات أو الوحدات، الشيء الذي دفعنا إلى اعتبار السيرة الشعبية "إمبراطورية الشخصيات"[2]، ومن بينها شخصيات معروفة وشخصيات المتخيلة والشخصيات الأسطورية أو الخرافية التي لا وجود لها.[3]

د- **السيرة الشعبية أعمال نثرية**: إلا ما ندر كالسيرة الهلالية، وهي بهذا تدخل في فن النثر العربي الذي اقتصره الدارسون على الرسائل والخطب وبذلك كانت لغة السيرة الشعبية لغة سهلة[4]، كما كان أسلوبها يتميز ببساطة اللفظ وسلاسة المعاني وزخرفة القول، وتنميقه وكثرة الوصف الذي تغلب عليه الصور البيانية (التشبيه، الكناية...) والمحسنات البديعية الجناس، الطابق، السجع...[5]

تؤكد "نبيلة إبراهيم" في دراستها لسيرة ذات الهمة، وهي أطوال سيرة شعبية عربية. بذهابها إلى أن أسلوب السيرة نجح في تحقيق وحدتها القصصية فالسيرة طولها البالغ ورغم استغراقها في حكايات المغامرات والأسفار، فإنها تحرص على الحرص على التمركز حول هدفها الأصلي، وتركيز على ما تسميه أسلوب البسيط واللم المبنية الهدفين اللذين تحققهما السيرة من وراء ذلك وهما تمتيع السامع وتشويقه من جهة، واتخاذ وسيلة للاسترسال في القصة الأصلية حتى تصل إلى نهايتها.[6]

[1] - ينظر: محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، ص09.
[2] - سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ص92.
[3] - أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي، ص111.
[4] - ينظر: فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، ص254.
[5] - أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي ، ص111.
[6] - نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، 1985م، ص106.

هـ- **البعد الزماني والمكاني**: تعتني السيرة الشعبية عناية كبيرة بذكر الأمكنة وتحديدها والتعريف بها، ولكن علاقتها بالزمان تتميز بنوع من الإطلاق والتعميم، فلا تعرفنا بالعصور التي حدثت فيها تلك الحادثة أو المعركة، إنما تذكر المدة الزمنية التي استغلتها في القتال أو السفر والترحال أو المفاوضات. وعادة ما يكون ذلك مرتبطا بأرقام مقدسة: (ثلاث تسعة عشرة...)، وبأوقات مقدسة (الفجر، الصبح...) وبأيام مقدسة (الأحد الخميس...)[1].

و- **البطل الشعبي**: جزء لا يتجزأ من الجماعة الشعبية التي ينتمي إليها والتي بدورها جزء لا يتجزأ من التاريخ الذي عرفته البشرية؛ فعنترة بن شداد العبسي شخصية تاريخية عربية معروفة، تعبر عن المجتمع الذي ينتمي إليه، والظاهر بيبرس شخصية تاريخية معروفة اقترن ذكرها بعصر المماليك وبالدولة الإسلامية في مصر. وبطل السيرة الشعبية العربية هو المثال وأنموذج الزعيم يحلم به الشعب العربي والإسلامي لذلك يشترك أبطال جميع السير الشعبية العربية في ملامح واحدة تشكل ما يعرف بالأنموذج الشعبي للبطولة.[2]

وكذلك ما يميز السيرة الشعبية وهو قيامها على أساس خلقي بمعنى أنها تعكس صورة مشرفة للخلق العربي الإسلامي والمثل العليا العربية الإسلامية، إما في التصرفات الأبطال وإما في طريقة سير الأحداث. وكذلك للمرأة حضورها واحترامها وقيمتها في سيرنا سواء أكانت أماً أم أخت أم زوجة ولا يمكن أن تكون في صورة مبتذلة إلا ولقيت جزئها. كأم سيف بن ذي يزن.[3]

وفي الختام هذا العنصر نجد بأن خصائص السيرة الشعبية جعلت منها أكبر الأعمال الأدبية ذات طابع حضاري الذي يسهم بقضايا فكرية واجتماعية في تطور الإنسان.

[1] - أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي، ص111.

[2] - سعيد يقطين، قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ص27.

[3] - فاروق خورشيد، محمد ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، ص299.

المبحث الخامس: وظائفها

حققت السيرة الشعبية أدوار متعددة في الأوساط الشعبية، تنوعت هذه الوظائف بين وظائف تحريضية تعويضية، وأخرى تثقيفية تربوية معرفية، وأخرى ترفيهية.

فقد كانت السيرة الشعبية تقوم بوظيفة تحريضية تعويضية وذلك خلال عصور السقوط الحضاري، حيث كان الرواة يقومون بهذا المهام الذي يقتصر دورهم على إنشاد السير بل كانوا أيضا معلمين ملهمين للشعب وذلك من أجل إنتاج مجتمع واعياً. وهي بدورها تعويضية تحفظ الذات الفردية والقومية من الضياع والسقوط وتحفظ تماسكها وصمودها، و تؤمن للجماعة الحاجة النفسية فالطبقات الشعبية هي المغذي الرئيسي بالمنتج البطولي.[1] فهي تحافظ على مقومات الجماعة وخصائصها بين سائر الجماعات فنراها تحكي أمجادها ومفاخرها وبطولاتها وفضائلها القومية من ناحية، كما تؤكد نزوعها الدائب إلى الوحدة العامة من ناحية أخرى، ونجدها – في الوقت نفسه– ترسب الضروري من تراثها الوجداني والعقلي والعلمي، وتنقل عبر الأجيال التجارب المستخلصة من مكابدة الحياة، والمشاعر التي تحكي مواقف معينة من الجماعات الأخرى.[2]

وتلك مهمة الراوي، الذي كانت مهمته استرجاع هذا الماضي بطرق عدة؛ رغبة منها في تنمية الشعور بالذات، وتحديد وجهتها بعض العناصر الجمالية "تجميل وتحسين" الإنسان الشعبي بإعادة بناء الحياة ذاتها كما ينبغي أن يكون.[3] وفي ضوء ذلك تصبح السيرة الشعبية واحدة من أوليات الدفاع عن الذاتين الجمعية والفردية لدى المجتمع الذي أنتجها وبذلك تكون الوظائف التعويضية[4] ومن خلال العودة إلى الماضي دفاعا وإشباعا قد حافظت على الذات العربية المهددة بسد تلك الثغرة الهائلة بين الواقعية حيث أحاسيس الفشل والعجز والانهزام وبين الذات المثالية التي تنشدها، فهنا يحصل اختلال في التوازن مع الواقع تكون صناعة الأبطال الشعبين أو الملحميين الذين يقهرون ذلك الواقع

[1] – ينظر: محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، ص202.

[2] – محمد رجب النجار وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، ط1، اتحاد الجامعات العربية، عمان، الأردن، 1958م، ص308.

[3] – ينظر: توماس هرتزوج، ترجمة: جمال الدين، السيرة الشعبية العربية بين الكتابة والتاريخ، ص 242.

[4] – ينظر: محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، ص202-203.

الجارح عملية تعويضية لإعادة ذلك التوازن النفسي، ويحقق الرغبات الشعبية في القوة والنصر وتحقيق الوحدة والكبرياء القومي أمام الذات والآخر.[1]

أما في ما يخص وظائف تثقيفية ومعرفية فتعد السيرة الشعبية مصدرها هام من مصادر المعرفة التاريخية، بالتطور الاجتماعي للإنسان العربي، عبر عصور متعددة، تعكس متغيراته الاجتماعية ومفاهيمية، ومثله العليا التي شكلت مظامين ثقافية شعبية. حيث الوظائف التربوية يتجل دور السيرة الشعبية تربويا في نشر المبادئ وتعميمها ودفعها في سبيل الاستمرار من أجل رسم مثال والقدوة.[2]

ولقد كانت السيرة الشعبية وسائل تثقيف وتعليم الشعب العربي، كما لعبت حلقات القص دوراً إشباعيا بوسائلها التخيلية لإشباع الرغبات على مستوى اللاشعور الجمعي فتجعل بذلك الحلم مقدما على الراهن والقاهر أو الواقع الجارح.[3]

كما لعبت هذه السير دوراً ترفيها فقد كانت الجماهير تتوافد على هذه الجلسات للاستماع إلى الرواة داخل المقاهي التي تأخذ شكلاً مسرحياً، مع استخدام الحركات ويرتدون الملابس التنكرية وذلك لتجسيد شخصية على أفضل نحو ممكن، فهي تعد أحد مصادر الترفية التي يمكن الحصول عليها بعد يوم طويل من العمل الشاق،[4] مما جعلها تحض بشعبية ضخمة وتناقلت جيل بعد جيل.

وفي ختام هذا العنصر نجد بأن السيرة الشعبية هي من أهم الأعمال في تاريخنا الأدبي التي كان لها وظائف وهي تعويضية و تثقيفية وأخرى تربوية معرفية.

رأينا من خلال ما سبق بأن السيرة الشعبية هي جنس أدبي قائم بذاته له أهداف الفنية والاجتماعية، صور لنا البطولة والخوارق رغم تداخله مع المفاهيم الأخرى كالملحمة والأسطورة... وغيرها إلا أنها لها سمات وخصائص ميزتها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى جعلتها من أكبر الأعمال ذات مضمون إنساني شامل وذات طابع حضاري الذي يسهم بقضايا فكرية واجتماعية في التطور الإنساني.

[1] – ينظر: محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، ص202- 203.

[2] – أكرم قانصو، التصوير الشعبي العربي، عالم المعرفة، نوفمبر 1995م، ع203، ص71.

[3] – ينظر: محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي ، ص 203.

[4] – ينظر: توماس هرتزوج، السيرة الشعبية العربية بين كتابة التاريخ والرواية، ص 243.

الفصل الثاني

المكون الملحمي في سيرة عنترة بن شداد

تمهيد:

خطت السيرة الشعبية بمكانة بارزة في المجتمعات العربية بما في ذلك سيرة عنترة بن شداد والتي دارت أحداثها على حروب ومعارك كما مثلت لنا صور البطولة ووصف المواقع حربية وخوارق الأعمال، فصورت لنا أخلاق العروبة التي كانت يتسمون بها، وكل هذا ينجم عن شخصية البطل عنترة شداد العبسي، الذي أعطى معنى إنسانيا لمفهوم الحرية والأحرار، فبحكم مميزاته وتفوقه ومشاركته الفعلية في أحداث القبيلة يتحمل مسؤولية لا تقِل عن دور أي فرد منها، ومن هنا كيف رسمت السيرة الشعبية شخصية البطل؟ وما هي المواقف الشجاعة والبطولات العظيمة التي مر بها؟

المبحث الأول: رسم شخصية البطل

تعتمد السيرة الشعبية العربية على جذور تاريخية حقيقية فما من سيرة من السير إلاّ تدور حول بطل كان له وجود في التاريخ يوماً ما، قام بأفعال جليلة وخاض حروباً ومعارك في سبيل قيم سامية مما جعل شهرته تسبقه إلى كل مكان، وهذه الجذور التاريخية تعتبر النواة الأولى التي يقوم الفنان الشعبي ببناء سيرته عليها "فهو يرى في الحقيقة التاريخية شيئاً أشبه بهيكل عظمي فيكسوها بخياله لحماً وينفخ فيه من روحه الإبداعية الجديدة وإذا بالحدث التاريخي حين يعود إلينا حياً بفضل الإبداع الفني لا يعود بصورته التاريخية الدقيقة. ولكن في الإطار العام للقيم والمثل والأخلاقيات التي يمثلها الفنان تعبيراً عن المجتمع الذي أنجبه".[1]

وتعتبر سيرة عنترة بن شداد أول الأعمال التي عَرفَها تراثنا الأدبي وأطلق عليها اسم "سيرة" وبطلها "عنترة بن شداد" شخصية تاريخية معروفة، ارتبطت بالشعر الجاهلي وبالقصائد المعلقة على الكعبة التي تعتبر قمة الفن الشعري الجاهلي.[2] وهو من أشهر الشخصيات العربية، ومما زاد شهرته في العصور المتأخرة السيرة التي كُتبت عنه في العصر العباسي، ثم تناقلتها الناس بالقراءة والرواية والإعجاب حتى غدا الجانب القصصي الأسطوري من شخصية الشاعر يطغى على الجانب الحقيقي في أذهان كثير من أبناء الشعب العربي.[3]

وهو أحد فرسان العرب، وأغربتها، وشعرائها المشهورين، وكانت أمُّه أمه حبشية اسمها "زبيبة" وأبوه من سادات عبس وكان له أخوة لأمه عبيد يحبونه ويحنون عليه، وكان من عادة العرب ألا يُلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله في عداد العبيد.[4] وقد أطلق العرب على بعض الشعراء من بينهم عنترة اسم "الشعراء الأغربة"، وهؤلاء قد تسرب إليهم السواد من أمهاتهم الإماء، وهم في الوقت نفسه لم يعترف بهم آبائهم العرب أو اعترفوا بهم على مضمن وضيق منهم. وهناك إجماع على أن سواء

[1] – خطري عرابي، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية، سيرة سيف بن ذي يزن انموذج، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، 2009م، ص18.

[2] – فاروق خورشيد، أضواء على السيرة الشعبية، ص27.

[3] – غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي الجاهلي، ط1، دار الإرشاد، 1992م، ص408.

[4] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005م، ص205.

الهجناء حضا، ووضعهم منزلة اجتماعية عن هؤلاء الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، فقد كانوا سبة يعيرهم آبائهم، وقد ميز هذا النوع من الهجناء بكلمة الأغربة تشيها لهم بهذا الطائر المشؤوم في لونه الأسود.[1]

كما ورث عنها تشقق شفتيه ولذلك يقال له عنترة الفلحاء عنترة الفوارس.[2] وذكر له الرواة أكثر من كنية، ومن كُماه: أبو المفلس، وأبو علبة.[3]

وتعددت الروايات المتضاربة التي تبقى نسب عنترة مضطرباً التي لا يمكن الفصل فيها بينها، وهو عنترة بن عمر بن شداد بن قراد بن مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض ولكن جل الروايات تهبط بالنسب من قيس إلى عبس، قَلَّ من يصل إلى قطيعة، أعوذ بن غالب أو بني مخزوم، أما من دون ذلك فليس له ذكر أو حدث.[4] وقيل: إن شداد هو جده أبو أبيه، وقيل: إن شداداً عمه، وكان عنترة نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه.[5]

ولم تذكر لنا كتب التاريخ يوم مولده ولا يوم وفاته ولكن الأحداث التي عاصرها كانت حرب داحس والغبراء قد انتهت قبل الإسلام بقليل أي قرابة سنة 600م وكانت هذه قد استغرقت أربعين سنة، لذلك نستطيع أن نجعل ولادته عنترة بحدود سنة 530م لأنه شهد بدء هذه الحرب اشترك فيها حتى نهايتها. وكذلك اعتماد على الفرضية لأنها تنسجم مع نصوص عديدة وردت عن اجتماع عنترة بعمر وبن معد يكرب و معاصرته لعروة بن الورد وغيره من شعراء تلك الفترة.[6]

وتبدأ السيرة في حديثها عن نسب شداد والد عنترة وقبيلة عبس وكذلك حادث خروج شداد وهو من أعيان "بني عبس" مع مجموعة من الفرسان للغارة على "بني قحطان" وبالتحديد على قبيلة "بني جدلية" ورأوا في مراعيهم ألف ناقة ترعى. ومع تلك النوق أمة سوداء وهي قائمة ترعى في تلك البقاع.

[1] – زكريا صيام، دراسات في الشعر الجاهلي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص277.

[2] – شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط24، دار المعارف، القاهرة، 2003م، ص369.

[3] – غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي الجاهلي، ص408.

[4] – ديوان عنترة ، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، مصر، 1963م، ص7.

[5] – عبد الإله الصائغ، الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، ط1، دار الفكر المعاصر، صنعاء، اليمن، 1999م، ص261.

[6] – الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ط1، دار الكتاب، العربي، بيروت، 1992م، ص7،

فوقع بها الأمير شداد فأولدها عنترة، وتروي السيرة أن أمه قد ظهر عليها الحمل وكبر بطنها وقل نشاطها وتداولها ومرت عليها الأيام والشهور حتى حان وقت الولادة، فلما كانت تلك الليلة أخذها الطلق كما يشاء خالق الخلق فما زالت من أولها تصرخ إلى وقت السحر حتى ولدت مولوداً ذكراً أسوداً أدغماً مثل الفيل، أفطس المنخر، واسع المناكب، واسع الحاجز معبس الوجه، مفلفل الشعر، كبير الأجداق، متسع الظهر، كما قيلت فيه هذه الأبيات:

وأسود يحكي ظلام الدجى كأنـه حـجر من الجلد لـــه ذراعـــا بعـــيدا المدا

قوامـــه الميـــاس كـالمرود وقـــد نراها اعبسا ادبسا ومزعجا للبض والاسودا [1]

وبعد كل هذه الصفات الغريبة فهي تشير إلى أن المولود أسود، وقد أخذ هذه الصفة على أمه زبيبة، إلا أن أعطافه ومناكبه شداد وأعضاءه وخلقته تشبه خلقة أبيه شداد[2] وأن هذه الصفات تشير إلى أنه سيكون قوياً.

((ففرح به الأمير شداد لما رآه وقال سبحان من خلقه وسواه وبعنترتة سماه وأوصى أمه زبيبة عليه)).[3]

وتأتي مرحلة بعد الولادة وهي مرحلة يبرز فيها عنترة ويظهر فيها مختلف تماما على باقي أقرانه فهو كان " إذا منعته أمه من الرضاعة همهم وصرخ ودمدم ويزوم كما تزوم السباع وتحمر عيناه حتى تصير كأنها الجمر إذا أضرم وكل يوم يلبسونه قماطا جديد لأنه يقطعه ولو كان من حديد."[4]

ومن مرحلة الرضاعة إلى مرحلة المشي فقد نما نمواً سريعا، وقد شمل هذا النمو البدني والعقلي معاً، وما إن بلغ العامين حتى صار "يدرج ويلعب بين الخيام ويمسك الأوتاد ويقلعها فتقع البيوت على أصحابها، ويعافر مع الكلاب و يمسكها من أذنها ويخنق صغارها ويقتلها ويضرب الصبيان

[1] – سيرة عنترة بن شداد، مكتبة الجمهورية المصرية العربية، مطبعة عاطف وسيد طه وشركائهما، مج1، ص 76– 77.

[2] – المصدر نفسه، ص77.

[3] – المصدر نفسه، ص77.

[4] – المصدر نفسه، ص77.

وإذا رأى ولد صغيراً هابشه من وجهه ورماه على ظهره وبلغ منه المراد. وإن كان ولداً كبيراً يعافر معه حتى يفتت منه الأكباد."[1]

وبقى عنترة على ذلك حتى خرج عن حد مرحلة الرضاعة، وصار له من العمر ثلاثة سنوات فكبر وترعرع وفاجئ الناس بشجاعته الفائقة حتى سمع به فرسان "بني عبس" وراحوا يختلفون حوله وقد اشتهى كل واحد منهم أن يناظره، وتحدثه نفسه أنه عبده "وزاد بينهم الخصام حتى كاد أن يقع بينهم ضرب الحسام، وجرد كل سيفه البتار وصار الأول منهم لا يعرف الآخر، ولو لا الملك زهير الذي حسم الموقف لكانوا قرضوا أنفسهم قرضاً."[2]

واستدعى الملك زهير الطفل ليشهده، فاحتار الملك لما أتاه عنترة و إذا بصورته كصورة أسد وتعجب من خلقته وكبر جثته مع أن عنترة كان ذلك اليوم له أربع سنين إلا أنه كان يقارب أولاد العشرين في هذه الفترة يمر عنترة بعملية اختبار تكسبه الكفاءة، فيرمى إليه الملك بقطعة من اللحم فسبقه كلب من الكلاب إليها فخطف اللحمة وولى يطلب الهرب فهنالك بحلق الغلام عينيه وعد وراءه وقد اشتد به الغضب فلحقه ومسكه من رقبته وبرك عليها وأخذ اللحمة من بين فكيه ثم أدخل يده في فمه وقبض على شدقيه فشق حنكه إلى كتفيه، وعاد يطلب أباه شدادا وهو يأكل من تلك اللحمة، فتعجب الملك زهير غاية العجب، وبهت فيه كل من كان هناك من سادات العرب، وقال الملك زهير: "والله ما هذا الفاعل إلاّ دليل الشجاعة لهذا الغلام المسمى عنترة، ولا بد أن يصير من أشجع الشجعان.[3] ثم صار عنترة ينمو ويكبر وينتقل من مكان إلى آخر هذه المرحلة تقوى فيه غريزة حي الاستطلاع ويخرج مع أمه وأخوته إلى البرية والصحراء والمرعى ويعينهم على الرعي النوق والجمال في البرية القفراء.

[1] – المصدر نفسه، ص78.

[2] – المصدر نفسه، ص78.

3 – المصدر نفسه، ص79.

ويحتل عنتر المسؤولية ويفهم معنى الاستقلال الشخصي، ويزداد علمه بالعالم الخارجي واشتدت أوصاله، وقويت عظامه وحتد كلامه وكان إذا عاد من المرعى عند المساء بطرح نفسه بين العبيد ويكثر عليهم الشر والأسى حتى صار كل من في الحي ضد إليه.[1]

فلم كثرا الشكاوي عليه هنالك أشغله مولاه شداد في رعي قطيع من الغنم فكان يقضي نهاره بالجري في جنبات البر، ويراكض الكلاب والغنم ويتعلم من مطارداتها الكر والفر وفي كل يوم تزداد قوته، وبينما كان يرعى ذات يوم إذا لمح ذئبا بين الغنم فسعى نحوه إلى أن قاربه، وصرخ فيه وكان الذئب قوي الرأس صعب المراس، فلم يلتفت إليه ولا عدا عليه بل حطم على الغنم وشتتها في البر فهجم عليه عنترة وضربه بعصاه، فجاءت بين عينيه فطيرت مخه من أذنيه وفي الحال تقدم عنترة إليه وشد قلبه عليه، وداسه برجليه ثم بعدها قطع يديه ورجليه ورأسه من بين كتفيه، وعاد يهمهم ويدمدم ويزمجر كأنّه الأسد الجسور، ثم أنه جعل رأسه ويديه ورجليه في مخلاة كانت معه وعاد إلى الشجرة وجلس موضعه جثيا على ركبتيه ثم أنشد وجعل يقول:

يا أيها الذئب الهجوم على الردى ها قد بقيت معفرا منهوبا أتوريد أموالي تكون مباحة
ها قد تركتك بالدما مخضوبا شردت أغنامي ولم تك عالما أني هزبر لا أزال ضروبا
ولو كنت تعلم ان هذا تلتقي منى و تضحي للحمام شروبا ما كنت تبغي نحو صنديد فقد
وافاك حتفك عاجلا مصبوبا هذه فعالي فيك يا كلب الفلا وحال أني ما شهدت حروبا[2]

ولما أمسى المساء عاد فتلقته أمه وأخذت منه المخلاة فوجدت فيها رأس الذئب والعراقيب وأخبرها عنترة بما جرى فتعجبت أمه من ذلك الكلام واستهولت في الأقدام.

ولما اشتدت عوده صار عنترة يتوسع في الفيافي ويقصد المراعي الواسعة والأراضي الخصبة البعيدة، كانت أمه تخاف عليه وتنهاه وتعلمه لكنه كان لا يستمع لكلامها، وصار شيئا فشيئا يركب الخيل ويتعلم على ظهرها الفروسية والشطارة ويسوق عليها في جنوب الأقطار ويطعن بقصب الفارس

1 – المصدر نفسه، ص80.
2 – المصدر نفسه، ص81.

صول الأصحاب ويطلب بالسيف العلو والافتخار، وكان عنترة إذا خلا بنفسه في القفار يتمهر في أبواب الحرب طول النهار ويطلب بذلك منازل العز والافتخار، ثم صار يتدرب على الرماية حتى اشتدت أطرافه وعرضت أكتافه وكملت أوصافه بالقوة والبراعة وظهرت فيه أعلام الشجاعة صار إذا شرد البعير يصبح عليه فيرجعه وإذا أمسكه من ذيله يوقفه ثم يعافر الجمال العوالى ويجرها ويقهرها وإذا تعاصت عليه دق أعناقها وشق أجداقها فخافته جميع العبيد وهابه القريب والبعيد[1] أما "شداد" فقد عظم حبه لولده وازداد خوفه عليه وإعجابه به، كما كان عنترة يكره الظلم ويسعى إلى نصرة المظلوم والانتقام من الظالم بعد أن قتل عبد شاس واسمع " داجي" كان شديد التكبر وكان من تكبره كل من عارضه لا يكون من شره ناجي وكان يحبه شاس لشدته وفعاله وحفظه لنواقه وجماله[2] وقد قيل في الأشعار:

يـــا نفـــس قـــرى لا تملى للهرب فليس بنجـــيك إذا الموتُ القريب
والعـــمر محتـــزم وأن جـــاء النَسَب فلتصبرى صبر الكرام ذوى النسب
لا تفزعي يا نفس من خوف العطب تبقى ذليلة عند ســادات الــعرب
ولتثبـــتى حـــتى تنـــل الأرب وستنصرين على عدوك في الطلب[3]

فلما سمع الأمير مالك ونظر أفعاله دمعت عيناه لما رآه ورثى لحاله وقال: "والله درك من عبد ما أطول باعك وما أقوى ذراعك وما أشد دفاعك وما أحسن بين العبيد قراعك"[4] وأجاره. ولما سمع الملك زهير بما فعله عنترة تعجب من أمه وقال: "والله ما قصر عنترة في فعاله ثم التفت إلى من حوله من الفرسان وقال: والله ليكونن هذا العبد شديد الغيرة على النسوان ويصير شجاعا قرما مناعا قوي الجنان" وقال فيه " والله ليكونن هذا العبد أعجوبة لجميع الناس ويكره الظلم والفساد ويسلك طريق السداد."[5]

1 – المصدر نفسه، ص84.
2 – المصدر نفسه، ص84.
3 – المصدر نفسه، ص87.
4 – المصدر نفسه، ص87.
5 – المصدر نفسه، ص79.

وفي هذه الفترة يتعرف عنترة لأول مرة على ابنت عمه "مالك" المسماة "عبلة" وهي في عمر أصغر من عنتر وكانت ضاحكة السن تزهو كهلال وهي مبدعة في الحسن والجمال والبهاء والكمال وكانت بهية فائقة الملامح وكانت تتدلل على عنترة وتكثر معه المزاح لأنه كان كخادمها وهو ولد عمها. وقد قال فيها قصيدة واصفها:

رمـت الفـؤاد مليـحة عـذراء بسهام لحـظ ما لهن دواء
مـرت أوان تـريد العيد بين النواهد مثل الشموس لحاظهن ضياء
فاعتنـالني سقـمي الذي في باطني أخـفيـته فإذا به وضـاء
حضرت فقلت: قضيـب بان حركت أعطـافه بعـد الجنوب صباء
نفـرت فقلـت: غـزالة مـذعورة قد راعها وسط الفلاء ضباء
سفرت فقلت: الشمس حقا وجهها لما بـدا للنـاظرين ضـياء
وبدت فقلـت: البدر لـيلة تَمـه قد قلـده نجـومه الجوزاء
وتبسمـت لاح الضـياء من ثغرها وبداء لداء العـاشقين شفاء
الله أكبـر يالهـا مـن نبيـلة تسبي العقول لـطيفة حسناء
سجدت تعـظم ربها فتـمايلت لجمالها أعطافـها العـظماء
يا عبلة مثـل بهـاك أني لا أرى بشمائل صـارت بها الأرجاء
إن كـان يسـعدني الزمان وإن أبى فلهمـتي في صـرفه إزراء[1]

فما سمعت عبلة من عنترة وصف شمائلها وجمالها وهي بين أترابها فازداد فرحها وإعجابها وهو إليها باهت.[2] ويدخل عنترة مرحلة حبه لعبلة ابنة عمه لتكمل صراعه مع الحياة. وما يمكن استنتاجه في حياة عنترة بأنه كان هناك مؤشرات تدل على أنه بطل منذ صغره سواء أكانت مؤشرات جسمية أو فكرية أو سلوكية.

[1] – المصدر السابق ، ص91.
[2] – الخطيب التبريزي، شعراؤنا، شرح ديوان عنترة، ص21.

المبحث الثاني: تصوير المواقف الشجاعة

تعتبر سيرة شداد أول صرخة فنية أطلقها ضمير الإنسانية ضد الظلم والعبودية.

فهي في كلمات قصة عبد كان في أسفل درجات السلم الاجتماعي بمقياس الناس. فصارع من أجل حقوقه المشروعة، وجد وعمل وبذل وضحى حتى خلع نفسه من القاع.[1] وذلك من خلال شجاعته وإصراره من أجل تغير واقعة العبودية الذي نشئ فيه، ونجد في السيرة كثير من المواقف الشجاعة التي قام بها عنترة منذ صغره، ففي العمر أثني عشر ذهب عنترة بن شداد إلى واد السباع الذي كان كثير النمور والسباع ويهابه الجميع لم يكن أحد من بني عبس يقصده، أما عنترة فقد سار إليه من أجل قتل الأسد الكبير ليفتخر على باقي العبيد ليعلموا أنه ذا بأس شديد، وذهب إليه بدون سلاح وهو يردد:

أنا الأســـد الموصوف والبطل الذي تخاف الورى يوم الحروب سنانى
أكـــر وأَحمى مـــال شداد والـــدى وأقهـــر أعـــدائي بضرب يمانى
إذا لازمـني الـــسيف في حومه الـوغا يطيـــش من الفرسان كل جبان
وترهبـــني أســـد الفـــلا وليوثـها ولا أحـــدا أخـــاف مـــكاني
ففي ســـاحة البـــيدا تكون مجـــندلا وأسقيك كأس من صروف زماني
وليس أخاف المـوت إن جد جـــده وأفهـــم ما أَلقـــى بكل لســـاني
وها أنا أَرمى السيف ويحك من يدى وأريك يا كلب الفـــلا بالبنـــاني[2]

وهجم عليه ولكمه في رقبته وقبض على شدقيه وهو ينفخ مثل ما ينفخ الثعبان الأسود وصاح بعد ذلك بصوت أزعج الوادي، ثم صبر على الأسد حتى خرجت روحه وقضى عليه وسحبه إلى خارج الوادي برجليه ثم أنه جمع الحطب من يابس الأشجار ثم أوقد النار ثم سلخ الأسد وشق جوفه وأخرج أمعاءه وقطع يديه ورجليه ورقبته ولف اللحم في الجلد وطرحه على النار وصبر حتى نضج وصار ويبلعه حتى أكله وما بقي منه إلا العظام الخشنة حتى كاد أن يشبع ثم روى

[1] – محمود ذهني، الأدب الشعبي العربي مفهوم ومضمون، مطبوعات جامعة القاهرة، بالخرطوم، 1972م، ص111.
[2] – سيرة عنترة بن شداد، مج1، ص98.

أنه غسل يديه ووجهه وبعد ذلك أتى الشجرة فرقد تحتها وجعل رأس الأسد له وساد وستظل من تلك الشجرة بظلها، وتظهر شجاعة عنترة كذلك حيث طلب منه شداد أن يمد يد المساعدة لما غزا فرسان "بني عبس" على " بني تميم" حيث أوصاه أبوه أن يحرس البيوت والنسوان، وفي إحدى الليالي أغار عليهم مائة فارس من "بني قحطان" فساقوا الجميع بالذل والهوان، وما كان من عنترة لأن يدافع عنهم دفاعًا مستميتاً ويقتل بمفرده أربعين فارسا، وهو لا يتعدى العمر أربعة عشرة عاما وهو ينشد ويقول:

أنـــا في الحـــرب العـــوان غيـــر مجـــهول المكان وحســـامي مـــع ســـناني
يشهـــــدا لا ينـــــكران وإذا نـــــادى مـــــناد في دجـــا الهيـــجا تـــراني
أطعـــن الخـــصم برحي وهو يقضـــان الجنـــان ثم أسقيـــه المنـــايـــا
وهـــو مـــنى غـــير داني انـــني قـــرم الشـجـاع ثلـــبت يـــوم الطعـــاني[1]

وهذه أول موقعة يتفوق فيها عنترة[2]، فلما سمع شداد بما قام به عنترة في غيابهم فرح به وهكذا أصبح عنترة يثبت شجاعته شيء فشيء إلا أن تمر الأيام حتى زاد عنترة من إثبات مكانته حين خرجا أولاد الملك زهير بن جذيمة العشرة في وليمة وساروا جميعا إلى رابية خضراء وهي عالية مشرفة على الأرض والصحراء وكانوا قد قدم لهم الطعام وطربت رؤوسهم وكان عنترة يرعى قريب منهم فإذا بهم يقبل عليهم ثلاثمئة فارسا من " بني قحطان" وكان قصدهم سرق غنيمة "بني عبس" وبدأت المعركة بينهم ولما سمع عنترة فذهب وأنحدر عليهم وقاتلهم وهو ينثر الرجال مثل الحرمل ورمى الفرسان على التراب وبددهم أفرادا وأزواج وأوقع في قلوب الأعداء الانزعاج وانكشف الغمة عن أولاد الملك زهير وحصل لهم غاية الأفراح والابتهاج، وكان العبيد قد ألقوا النفير في بني عبس فعلم الملك زهير ما أصاب أولاده بالأمس فتغيرت أحواله وهاج بلباله فركب في عاجل الحال على جواده وتراكضت من خلفه الفرسان والشجعان ولما وصلوا إلى مكان المعهود إلا وقد وجدوا عنترة قد قضى الأشغال وهزم الأبطال وبدد الأقيال من الرجال في المجال ورجعوا عائدين إلى الخيام وعنترة بينهم كالأسد الريبال وهو ينشد بالأشعار ويقول:

[1] – المصدر نفسه، ص101.
[2] – المصدر نفسه، ص102.

لا يطلب العــز من لم يركب الخطر ولا ينال العلا من القــدم الحذرا
ومــن أراد العـــــلا عفواً بلا تعب يمـــــت ولم يقض من لذتها وطرا
لا بد للشهـــد من نحـــل يمانعه لا يجتنى النفع من لم يحمل الضررا
وأحزم النّاس من لو ملت من ظمأ لا يقــرب الورد حتى يعرف الخبرا
فقد يقال عثار الرجـل أن عثرت ولا يقـــال عثار الــرأي إن عثرا[1]

فلما سمع الملك زهير منه ذلك المقال ورأى منه تلك الأفعال أعجبه ذلك الحال ثم أنه فرح بسلامته وسلامة أولاده وحمد عنترة على حسن وداده وسألهم عن الخيول وأثنى عليه ومدحه وشكره وعاد الجميع ينشدون ما سمعوه من أشعاره ويتعجبون من فصاحته وشجاعته، وجدد الملك الوليمة لأولاده وأجلس عنترة بجانبه ورفعه على جميع أصحابه وخلع عليه من ملابسه وجعله من الذهب وأركبه على جواد من أفخر الخيول العرب وقلده بسيف مثقف ثقيل اللمس وسماه "بحامية بني عبس".[2]

وهكذا تتقلب وجه المعاملة القبيلة نحو هذا الإنسان فهو في السلم والرخاء يحتقرونه، وينادونه "يابن زبيبة" امعانا منهم في نبذه والحط من مقداره بينما إذا حلت بهم نازية واحتاجوه لرد كيد الأعداء رفع مخاطر الحرب عنهم رفعوه بقولهم "يابن الأطايب" تمجيداً له.

ينـــادونني في السلـــم يابن زبيبة وعند صـــدام الخيل يابن الأطـــايب[3]

وهكذا أصبح عنترة كباقي الشجعان ويغزو مع الأبطال ومهموم بهموم عشيرته صار يبعد عن الحي يغير على القبائل كما كان أخوه شيبوب يدله على الطريق والمساهل وكان كلما توجه في أمر إلا ونجح ولا عدل إلى مهم إلا انصلح وكلما غزا حيا من الأحياء العرب لا يعود إلى الديار إلا بالغنائم الكثيرة، وقد حتى أغنى أباه شداد.[4] وهكذا وتكرر المعارك التي تظهر فيها شجاعة عنترة

[1] – المصدر نفسه، ص110.
[2] – المصدر نفسه، ص110.
[3] – زكريا صيام، دراسات في الشعر الجاهلي، ص278.
[4] – سيرة عنترة بن شداد، مج1، ص111.

بينما حُبه يتمكن يوم بعد يوم من قلوب أصدقائه، وكذالك الحسد والكراهية تتمكن يوم بعد يوم من قلوب أعدائه. ويرتب الأمير شاس بن ملك زهير و الربيع بن زياد لقتل عنترة، ويأخذون ثأراً لهم عند عنترة ويهاجمونه وهو في طريقه على رأس موكب نساء بني عبس، وكانت مع تلك النساء عبلة وأمها التي وعدته بتزويجها من أبنتها إذا أنقذهم[1] ، وما كان من عنترة إلا أن يدافع عنهم وكان معه شيبوب فتقدم عنترة وصاح فدوت الجبال وحمل على أوائل الخيل أتطبق واستقبلهم بطعن مطلق وأوصله إلى الصدور والحدق واستقبل الفارس بطعن في الصدور وهو في كر وفر ويهجم عليهم كأنه الأسد وقد قتل من تلك المئة خمسين فارسا وبددهم وذلهم هكذا والغبار قد طلع وعلا وملا جنبات البر والفلا والخيل تجري من تحته خالية وأصحابها قتلى وسروجها تقطر بالدماء، والنساء قد يقنت بالنصر والحمى قد تركن العويل والبكاء وصرن يدعين ويتوسلن إلى رب السماء لأن عنترة لما طاب له الحرب والقتل. وهذا وعبيد بني عبس تنظر وترى قد تقطعت ظهورهم وحاروا في أمورهم.[2] وهكذا ويقدم لنا مؤلف السيرة جانب آخر لعنترة الذي بشجاعته يدافع عن النساء المستضعفات، كذلك هو يواجه المؤامرات والحروب بقلب ثابت وجنان هادئ وقدرة الفارس الصنديد وهو يقدم لنا أيضا طورا من تلك المؤامرات التي تتكاثر على عنترة من أعدائه وحاسديه.[3]

ويوم عن يوم يثبت عنترة شجاعته ومن خلال معاركة مع فرسان بني عبس ويوم عن يوم يزداد فرح شداد بعبده عنترة وبشجاعته في القتال ولكن لا يستطيع الاعتراف به خوفا من مذمة العرب له ولكن ما من عنترة إلا أن يتحرك الديار وهو في الصحراء التقى عياض بن ناشد، مع مجموعة من الفرسان يردون الغزوا، وطلب من عنترة المشاركة معه في الغزو فقبل عنترة وهجموا على أحدى قبائل بني قحطان، وهزموا الفرسان، وهناك يلتقي عنترة بالحارث بن عبادة الذي كان يركب مهر أدهم كأنه الليث القشعب وكان هذا المهر يشبه لون الظلام كأنه قطعة من الغمام، وكانت تتحصر عليه العربان وملوك القبائل، فلما رآه عنترة تنهد در وتحسر وتلهب قلبه على نبران الحريق، وكلف الفرسان

[1] – ينظر: فاروق خورشيد، محمود ذهبي، فن كتابة السيرة، ص128.

[2] – سيرة عنترة بن شداد، مج1،ص111.

[3] – المصدر نفسه، ص128.

عنترة بأن يسوق الغنيمة وكانوا ورائه على بعد كبير، فأوقف عنترة الحارث وساومه على المهر بالغنيمة التي يسوقها.[1] فهو الأبجر من نعامة ما حوى مثله كسرى ولا قيصر ولا ملوك بني الأصفر، الأبجر الذي تحسرت عليه وعلى أمه أهل اليمامة وتمنته عرب تهامه وهو في الحرب شامة الريح أسير يديه وقرين رجليه والنجم معلق بلجامه وحرير الملمس بدونه وعظام ظهره حصن لراكبه ونار لطالبه إذا حبسته ثارو وإذا أطلقته طار أعلاه جبل وأسفله جندل وظاهره محمل كأنه القمر إذا ابتدر أو هلال قد أهل للبشر وكأنه الأسد إذا أوثب وفي عنقه قلادة من جواهر نورها يخطف البصر كأنه نجم انقضى على شيطان أو عفريت من جن سليمان عظيم النخوة والشأن وكأنه من عزة نفسيه سلطان محجل اليد والرجل وخفته خفة الغزلان وصهله جرس قوائمه حرس وعيناه ياقوتتان ويداه جبناحان وعند ما يلقى كأنه القبة المبنية أو العروس المجلية.[2]ويلتقى فرسان بنى عبس بعنترة ولا يرون معه الغنيمة، وسرعان نما يركب عنترة الأبحر وواجههم، بينما هم في طريقهم وقد رأوا ناقة عالية السنام مليحة القوام حولها جماعة من العبيد الأحرار وفي أيديهم الدفوف والمزاهر والمزمار وورائهم ستون فارس كأنهم الليوث العوابس فإذا بها عروسا في هودجها بنت كبير من ملوك اليمن، فهربوا الحرس في معركة لم يشترك فيها عنترة، حتى جاء شارب الدماء والد العروس بعد أن أبلغه الفرسان الهاربون ولجئ بنو عبس لعنترة ليحميهم، وقتلهم عنترة جميعًا، وما أن يسيروا قليلاً حتى يهجم عليهم زوجها ناقد بن جلاح وكان فارسا مشهورًا ولكن ما كان من عنترة إلا أن يقتلهم جميعًا.[3]وسجل عنترة انتصاراً كبيرًا على فارسًا كبيرًا، وليس هذا غريب على عنترة العبد الذي كان يحس على العبودية يطوق عنقه ويأمل أن يخلص منه، ما كان يرى في ذلك سبيلا سوى الخلق الكريم والبطولة الفذة، فعسى لها وعمل من أجلها وكان في بطولاته هذه يقدم الدليل لقبيلته وأهله حتى يعترفوا به، ولكنه لم يكتفي بهذه البطولة، بل يجمع إليها الشعر الجميل الذي يبين فيه حاله، ويشرح فيه نفسيته، في نغم حزين يرد

[1] – المصدر نفسه، ص 137.

[2] – المصدر نفسه، ص 142.

[3] – المصدر نفسه، ص 150.

الإشفاق من جانب ويحمل صورة الدلالة بالبطولة من جانب آخر.[1] فقد كان يفرض في بطولته وشجاعته من خلال المعارك التي يشارك فيها.

هكذا وتتكرر الأحداث بعد ذلك وقد أخذت جميعها طابعًا واحدًا هو أن بني عبس يقعون دائمًا في مآزق لا تجدي فيها سيوفهم ولا رماحهم فيتقدم عنترة وينقذهم منها، فمرة نراه يفك أسر أبيه وأعمامه جميعًا بعد ما أسرهم قيس بن ضبيان، كما يدخل عنترة في مغامرة دامية من أجل صديقه مالك بن زهير، ومرة بنصر أخا مالك في الرضاعة لأنه كان يحب فتاة وجاء ليتزوجها فارس مشهور من "بنى مازن" ليس مثله فارس فينتصر عنترة لقصه الحب انتصارا لا دافع له سوى ما يحسه هو نفسه متعب وحرمان.[2] وبعد كل ما قدمه عنترة إلا أنه عمه مالك يبغض عليه ويقرر أن يزوج عبلة من عمارة- أخا الربيع- ويدخل عنترة في متاهة وحيرة بين العبودية وتحقيق نسبه من جديد فيدب الخلاف في القبيلة وتنشب الفتنة ويتدخل "الملك زهير" كما يهين شداد عنترة حيث يقرر أن يخلع عنترة ثياب الفرسان ويرجع إلى الرعي إلى أن خرجوا بني عبس للغزوا على بني طي ونشبت الحرب بينهم وعنترة واقف بين العبيد من بعيد وقد هُزموا بني عبس وعادوا إلى الديار منهزمين فعاتب شداد عبده عنترة على عدم مشاركته معهم في القتل وكان عنترة غير معتن بكلامهم فساق جماله وترك أبوه وأعمامه واقفين، وما هم في ذلك الحال حتى إذا بخيل اليمن قد دخلت البيوت وقد قلعوا الأوتاد واخرجوا النساء والبنات ونادوا بالويل والثبور.[3] فقال له أبوه كريا عنترة، فقال عنترة: العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر، فقال له: كر وأنت حر.[4]

وتقدم عنترة للقتال وكشف عنهم الغمة والكربة وهو يهمز همزات الأسد ثم ترنم وقال:

ستـــــرون اليـــــوم فـعلي أنـني فارس الهيـــجاء ذو عزم قوى
وشـــــاع في الــوغى لا أنــثني عند وقع التـاج من رأس على
وأخوض الحرب لا أخشى الطعن بل أنا المردى برأس السمهري

[1] – ديوان عنترة، تحقيق:محمد سعيد مولوي، ص 37.
[2] –ينظر: فاروق خور شيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، ص 132.
[3] –السيرة، مج1، ص 191.
[4] – ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، ص 38.

وأرد الخيـــل قـــسرا نا كصـــات فوق ظهر الأبجر السامى البهي[1]

وتنتهي المعركة وقد نالا عنترة مراده وأصبح فارسا من فرسان بني عبس ومعترف به وبنسبه لشداد، فحرية وإثبات نسبه كان هذا ما يسعى إليه عنترة، من خلال شجاعته وخوضه الحروب والمعارك، والتفوق فيها. فهو لم ينل حريته عطاء يسيرًا، وإنما بشق النفس، وبذل الجهد، وتقديم التضحيات لأن الأخبار كلها تجمع على دخول المعركة، وإجبار أهله حتى اعترفوا به، ويكفي هذا عنترة فخرًا، فلقد حقق فيه إحدى أعظم غاياته وأمنياته، دون تملق لأحد أو استجداء، وإنما بهمة البطل والقوة الساعد.[2]

ولم تقف السيرة على هذا بل تتعدى ذلك لتجعل منه فارسًا الذي يعمل عملا يعجز عنه الصناديد الرجال فهو إذا طعن ضلعا دقه وإذا ضرب رأسا شقه وإذا ضرب بطلا رفعه على رأسه وجلد به الأرض فرض عظامه رضا وأي رض، وأدخل طوله في عرض فلم يدع له طولا يعرف من عرض وخلع أضلاعه بعضها البعض.[3]

ومن هنا كان لا بدا لعنترة أن يفوز ب "عبلة" بعد ما اعترف به رسميًا فيطالب مالك بأن بزوجه أبنته، لكن عمه لم ينس أبداً "لونه الأغلس ووجهه الأفطس"، وأنه كان راعيا لإبل "بني عبس" ولم ينسى أمه الأمي السوداء، فلجأ إلى حيلة أخرى ليبعد بها عنترة عن ابنته عبلة فيشترط عليه شروط تعجيزية وهي ألفا من النوق العصافير التي توجد عند الملك النعمان، وهنا يخوض عنترة هذه الرحلة وما هذه المسألة إلا خطوة جديدة نحو تثبيت الأمجاد التي حمل عليها عنترة، وفرصة له وقد أصبح حراً بين الأحرار وقائد لعروة بن الورد وفرسانه بعد ما حاول قتله وأن يصبح كذلك ذا مال وذا مركز حين يحارب جنود النعمان.[4]

ونستنتج من خلال ما سبق أن رغم العبودية التي نشأ فيهال عنترة والتفريق العنصري إلا أنه صار من أجل تحقيق الذات والمساواة بينه وبين الآخرين كما استطاع التغلب على جميع

[1] – السيرة، مج1، ص 194.

[2] – ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، ص 39.

[3] – السيرة، مج1، ص 275.

[4] – ينظر: فارق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة، ص 134.

من يقف في وجهه وأخذ يتألق شيء فشيء إلى أن رسم مكانته بين الفرسان ولا يضيع فرصة في المعارك إلا ويثبت شجاعته، ولم يقتصر على هذا فقط بل تعدى إلى نظم الشعر و فصاحة اللسان وحسن الخلق.

المبحث الثالث: القتال والمواقف العظيمة

لقد نجح عنترة بن شداد في الحصول على حريته وإثبات نسبه والتخلص من قيد العبودية التي نشأ فيها وذلك بشجاعته وأعماله البطولية، فهو الفارس المغوار الذي لا يدخله الخوف ولا يصيبه الوجل، "فقد أخذ نفسه بفنون القتال وتمرس عليها، وقد أورثه هذا التمرس خبرة استخدمها في حروبه مع أعدائه، وأكسبته شهرة عظيمة وجعلت منه فارسا مرموقا يتحدث عنه وتضرب بشجاعته الأمثال".[1] فهو حامي بني عبس ومدافع عنها وقاهر الأعداء وما أن يطل حتى يصبح النصر مؤكد ولعنترة بن شداد كثير من الوقائع المشهورة وقد جاءت السيرة محشوة حشوا بهذه المعارك التي خاضها ضد الأعداء، ومنها رحلة عنترة إلى العراق من أجل مهر عبلة، فلما وصل وجد النوق التي جاء لأجلها، وأخذ منها ألف ناقة وسار بها وبدأ القتال من أجل استرجاع النوق وسمع النعمان بن مالك منذر حرك جواده وتجارت خلفه الرجال الأجواد ولحقوا عنترة وقتل حوالي ثلاثمئة بطل حتى ترك الأرض حوله غارقة بالدماء ومدد الرجال على الثرى وهو لا يسمع ولا يرى وتعجبت منه الأبطال ونزلوا عليه مثل السيل إذا سال وهو يضرب فيهم بالحسام حتى وقع على وجهه من شدة الكر والفر فأسروه وقدموه لنعمان فلما رآه تعجب من صورته ومن عظم جثته.

وبينما هو يتبادل معه في أطراف الحديث حتى هجم عليهم أسد. وما كان من عنترة إلا أن يعرض على الملك المنذر قتله فوافق الملك وكان الأسد عتيق في قدر "الثورة الكبير واسع المناخر طويل الأظافر وهو شدق و صوته مثل الرعد" فتقدم عليه عنترة وطربه بحسامه فوقع الأسد قطعتين وصار على الأرض شطرين، وأنشدا يقول:

تــرى علـــمت عبـلة ما ألاقي من الأمــوال في أرض العراق
رمــاني بالـــدها وبالـــكر عمى وجار على في طلب الصداق

[1] – ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، ص 40.

فخضـــت بمهـمتي بحر المنـايا وسرت إلى العراق بـــلا رفاق
وسقت النوق والـرعيان وحدي وعدت أجد من نار اشـتياق.
ويقول: وساقوني إلى مالك كريم جلـيل قـــدره بالعـــز باق
وقد لا قيمـــت بيـن يديه ليثا كريـــة المتـــلقى مر المذاق
قددت لهامه بالسيف نصفا وعدت إليه احجل في وثاقي
عساه يمـــدنـى برضاه عني ويفْـــعم بالجـــمال والنياق.[1]

وبعد سماع المنذر ما قاله عنترة. ورأى أفعاله قال: "والله إن هذا أعجوبة الزمان و فريد العصر والأوان لأنه قد حوى الفصاحة والشجاعة والأقدام على الأمور الصعاب وقد رأينا منه أمور تحير فيها أولوا الألباب". كما خاض المعركة التي دارت بين "الملك المنذر" و "كسرى" والتي كانت ستأتي بالخسارة المؤكدة، لولا عنترة الذي ردا الهزيمة إلى النصر[2]، وكذلك حين ينقذ أموال كسرى، فيسير ذكره وتتحقق له من معالم الفروسية، هكذا فحصل عنترة على مهر عبلة مقابل أعماله وشجاعته كما زادت شهرته واعتراف القبائل العرب بفروسيته.

وفي هذا المرحلة يتعرف عنترة بعمر بن نفيلة – وزير المنذر– وهو من جله المعمرين المنتظرين لظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قد عاش خمسمئة عام. وكذلك يتسنى لعنترة الفرصة فيلتقي بفرسان الروم كما العجم، و يلتقي بفارس الأسطوري له كيان وقيمة في الأساطير الفارسية ذلك هو رستم، وتتم بينهما مصارعة تنتهي بهزيمة رستم وإقراره بالفضل لعنترة فارس العرب.[3]وتتكرر المعارك في السيرة وضخمت الرواة أعمال عنترة وبالغوا في الوصف حتى أصبح بطلا أسطوريا ونذكر نموذج معركة دارت بين "بني عبس" و "بني زبيب".

[1] – المصدر نفسه، ص 245.
[2] – المصدر نفسه، 254.
[3] – ينظر: فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، ص 136.

حيث يصف "هذا والشباب شابت، والخيل في الدماء خاضت والرقاب طارت، والسيوف جارت والرماح في الأجسام غارت والدنيا أظلمت، والغبار خيم، والقيامة قامت والرجال إلى الحرب هامت، وأجساد القتلى في الدماء عامت".[1]

ولم يبق بطل من أبطال العرب لم يبارزهم العرب لم يبارزهم "عنترة" فقد حشد له الرواة جميع صناديد الجاهلية فرسانها الأبطال ومنهم: ذي الخمار، دريد بن الصمة، عامر بن الطفيل، معد يكرب الزبيدي وعمه خالد بن محارب، جابر بن صخر، سليكة بن سلكة وطود الأطواد والمغطرس، صعصعة بن العوامة، وأنس بن مدركة وغيرهم كثيرون، وهؤلاء الفرسان لا يوجد مثلهم في مشارق الأرض ومغاربها، فكان "عنترة بن شداد" يأسرهم أو يقتلهم أو يجزى نواصيهم، ومثل هذا فعل مع الملك السود، والرميم المسعود، وفاز القضاعي وقيصر ملك الإفرنج، وكسرى، كما أسرى عنترة كثيرو منهم ورد شاه، ظالم، عروة بن الورد، الحارث بن ظالم، والقيط بن زرارة[2] وكثيراً ما يتحول هؤلاء الأبطال الذين تغلب عليهم عنترة بن شداد إلى محاربين يساعدونه في معاركه، وذلك بعد أن يدركوا أن "بن شداد" لا ينافس ولا يقهر، ويمكن أن نذكر من ينهر على سبيل المثال: عورة بن الورد، مقري الوحشي، الأحوص بن جعفر، خلف بن ندبة، عمر بن معد كرب وغيرهم.

واستطاع عنترة عن طريق هذه الحروب أن يشق طريقه إلى المجد والعظمة فهو الفارس الذي قهر فرسان الهند والسند واليمن والعراق وشام وأذل الملوك أيضًا منهم ملك كسرى وملك بني الأصفر وأذل الملك يكسوم وأسرى عساكره وقتل جيوشه.

ثم تحول إلى السودان وحاربهم. وأنتصر على ملوكهم ثم تمكن من ولوج "حصن خيبر" لمحاربة اليهود، واستطاع أن يفتح العديد من الجزائر كجزيرة "قيمر" بـ "عمان" وجزائر الواحات: ثم تحول بعد ذلك إلى قائد بحري، فتمكن من إغراق مراكب الملك "الليلمان" ملك الإفرنج، وفي هذا الإطار نذكر على سبيل المثال مواجهة عنترة طناجير والديلم" فقد انطلق عنترة على فارس ديلمي فمد له يدا كأنها رقبة البعير الأسود وطبق أطواق درعه والزرد، فأخذه على يده كأنه العصفور ومسكه من رجله ولوحه

[1] – السيرة ،مج1 ، ص 420.

[2] – ينظر: فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة، ص 150.

كما يلوح المقلاع، ثم ظهر فارس ثان فلطمه عنترة على صدره فألصق صدره إلى ظهره فرماه قتيلا وفي دماه جديلا فانذهلت من فعاله الرجال وقصرت عن خروج إليه الأبطال.[1]

ثم ذهب إلى الهند وحارب ملكها، عبد الهياف ولاقي ملوك اليمن وقتل منهم أربعين وفتك بهم فتكا عظيم، وقد قاتل عنترة في كل ذلك قتال من كره الحياة واشتهى الفني، ولعل أشهر هذه المناوشات يوم ذي قار الذي يعتبر من أشهر أيام انتصاراتهم الفاصلة في التاريخ. كما ندد بالقبائل التي لم تشارك فيه.[2]

كما تظهر فروسية وشجاعة عنترة بن شداد في حرب السباق التي تعرف بحرب " داحس وغبراء" فهي تعتبر الميدان الفسيح لظهور فروسيته، ففي هذه الحروب تقترن مع كثير من المواقع، وأقدم عنترة في هذه المعركة وبذل الجهد والطاقة، وقتل معاوية بن نزال، وأفتخر بقومه وفوزهم على بني تميم.

الأخبار عن الفروسية وشجاعته كثيرة، هي تلقى في مجملها في نقطة واحدة وهي أن هذه الفروسية لم تكن عبثاً عند عنترة، وإنما هي نتيجة الخبرة الطويلة التي اكتسبها في القتال، والتي اكتسبته شهرته.[3]

كما قيل لعنترة: أنت أشجع الناس وأشدها؟، قال لا. قيل: فبم إذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً ولا أدخل موضعاً لا أرى لي منه مخرجاً، وكنت أعتمد الضعيف الجنان فأضربه الضربة الهالكة يطير لها قلب الشجاع، فأثني عليه فأقتله.[4]

ولم تكفي السيرة بجعل عنترة يخوض كل هذه المعارك بكل فطنة وذكاء بل أضافت عليه ثوبا خرج بواقع من الإطار المعقول إلى الإطار اللامعقول، فهو ينتصر ويتفوق على جميع الأبطال في محيطه الداخلي ومحيطه الخارجي، بل جعلته يصارع الجان والغيلان والتنين والشيطان ومن الطبيعي أن يتغلب هذا البطل عليهم.

[1] – – ينظر: شوقي رقاده، شخصيات في السيرة الشعبية، ص 67.

[2] – الرجع نفسه، ص 58.

[3] – ينظر: ديوان عنترة، تحقيق: محمد السعيد مولوي ، ص40-41.

[4] – المصدر نفسه، ص41.

ورد في السيرة بأن هناك وادي الشيطان كان معموراً بالجان وفي هذا المكان يوجد شجرة وفي تلك الشجرة يسكن مارد جبار وكان حبسه كاهن من الكهان من قدم الزمان وكان هذا المارد من ملوك الجان الذين آمنوا بسيدنا سليمان وكان عاصيا عليه وصار يتعرض لكل من دخل هذا المكان من بشر.[1]، وقد استطاع عنترة بفعل قوته وشجاعته بقتل هذا المارد العجيب. وكما جاء في السيرة وصف خلائق الجان: هي جيوش كثيرة بخلاف الآدميين منهم أبدان بلا رؤوس و رؤوس بلا أبدان وبعضهم على صورة الطيور والنسور والعقبان وهم على سائر الألوان وبعضهم على صورة الجمل والخيل والبغال وبعضهم على صورة الحياة وشيء على صفة الكلاب وشيء على صفات السباع.[2]

كما استطاع عنترة أن يتغلب على كل هذه القوى ويقهر كل هذه الخوارق فهو قائل:

ولـــو ملت علـــى الجن يوما بأسياف وسهم من سموم
لقـاتلـــت الجـــميع ولا أبالي ولو كانوا كأَعـداد النجوم
فكم من ليلة قد سرت وحدي بغير الفتيان مختلقي وضوم[3]

وكما يخوض صراع مع الغول وتنتهي المعركة بانتصاره عليه فهو قائل

والغول بين يـدي يخفي تارةً ويعود يظهر مثل الضوء المشعل
بنـــواظـــر رزق ووجه أَسود وأضـــافر يشـــبهن جد المنجل
فإذا رأت سيفي تضج مخافة مضجيج نوق الحي عند المحمل.[4]

وكما ورد في السيرة أنه لم يكن في ذلك الزمان أكبر من جثته فهو طويل القامة طوله سبعة أذرع هاشمي وعرضه ثلاثة أذرع ، وطول شنابه نصف ذراع ووجهه ثلثا ذراع، وفمه ربع ذراع وكل عين من أعينه متر.[5]

[1] – السيرة، مج7، ص14
[2] – السيرة، مج8، ص64.
[3] – ديوان عنترة، تحقيق: محمد السعيد مولوي ،ص32
[4] – السيرة، مج5، ص150.
[5] – السيرة، مج7، ص235.

ونستنتج من خلال ما سبق بأن عنترة ين شداد قام بدور البطولة حتى ارتقاء إلى مصفات باقي الأبطال وأصبح بطلا أسطوريا وذلك بعد الحروب والمعارك التي خاضتها وقدرته على التغلب على جميع فرسان عصره، بل تعدى ذلك إلى مصارعته للقوة غيبية وتغلب عليها.

المبحث الرابع: حياة الشعب

قسم العصر الجاهلي إلى قسمين: الجاهلية الأولى، نكاد نجهل تاريخ هذه الحقبة من أزمنة العرب، وكل ما لدينا ذكر القرآن الكريم لبعض القبائل المنقرضة كعاد ، وثمود، وطسم... وغيرها أما الجاهلية الثانية: تمتد من سنة 450م إلى 633م قد وصلنا منها أدب يصح اعتماده وإن شك فيه بعض الباحثين[1] وإننا نعتمد على هذه الحقبة من الزمن التي سنتطرق في دراستها في سيرة عنترة بن شداد التي صورت جميع مظاهر الحياة العصر الجاهلي من جميع جوانب حياة الإنسان فكانت قبيلة بني عبس تعيش كغير من القبائل المتناثر في الصحراء والتي قسمت إلى قسمين العبيد والأحرار فالأحرار الذين ربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها، أما العبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة.[2] كما هو حال زبيبة والدة عنترة بن شداد التي أصلها من الحبشة والعبد عنترة الذي عانى منذ إدراكه للحياة من واقع العبودية وسواد لونه فهو يرى نفسه محتقراً وليس له حق في الحياة.

وكانت طبيعة الحياة القبلية قائمة على السلب والنصب والغزو والاستبعاد. فالقبائل الجاهلية تعيش معيشة برية، فهي كتائب تنزل للرعي، فحياة الرعي وتربية المواشي تبقى هي الطريقة الأساسية والعادية للرزق عند قبيلة عبس[3]، وفي الوقت نفسه تجهر الأسلحة كي تدفع خصومها عن مراعيها أو تغير عليهم وتسى نساءهم وتنصب أموالهم من الإبل وغير الإبل وكانوا يحاربون راجلين وركباً على الإبل والخيل، وكانوا يرون في الثانية مزية على الأولى لسرعتها في الطرد والإغارة. فأحبوها وعنوا بها وبتربيتها وصياغتها واستنتاج كرائمها وترويضها للحروب والسباق وقد دارت أوصافهم لها في الشعر الجاهلي، فلم يكادوا يتركون عضوا من أعضائها إلا وصفوه.[4] ومثال ذلك وصف عنترة لحصانه:

---

[1] – ينظر: جوزيف غريب، الجاهلية أدب وفن وتاريخ، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1978م، ص 48-49.

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي – ، ط24، دار المعارف، القاهرة، 2003م، ص67.

[3] – ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، ص 11،

[4] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي – ، ص366.

ولرب مشعلة وزعت رعلها بمقلص نهد المراكل هيكل
نهد القطاة كأنها من صخرة ملساء يغشيها المسيل بمحلفل
وكـــأنّ هادية إذا اسْتقبله جذع أذل وكان غير مذلل
وكأنَ مخرج روحه فِي وجهه سربان كانا مـــولجين لجيال[1]

ومن المسلم بأن القبائل في الجاهلية كانت تتنقل من مكان إلى مكان، فحياتهم قائمة على الحروب والتنقل والترحال بحثا عن الماء والكلأ، فتصطدم بقبيلة أخرى تنازعها أو تريد منعها وفي تاريخ عبس أكثر من حادثة في هذا الباب نذكر من اصطدام عبس ببني كلب.[2] فالسيمة الغالبة من القبائل هي الخصام والشجار والاحتكام إلى السلاح والدعوة إلى الحرب لأتفه الأسباب ويندفعون نحوها بلا شفقه ولا رحمة فأنجمت بينهم الأحقاد، ونشرت بينهم الضغائن والخلاف.[3]

وعند العودة والانتصار على الأعداء يقومون احتفالات التي تدوم لأيام فتذبح فيها الإبل والنياق وكانوا يشربون الخمر في المجالس حين يحتفلون بعد انتصاراتهم وتغلبهم في المعارك.

كما كانت قبيلة بني عبس لا تخضع إلى أي نظام سياسي فقد كان الشعب يتزعمهم رئيس القبيلة "الملك زهير بن جذيمة" هو الذي يسير شؤون القبيلة ولكي يرتقي لهذه المكانة كان يجب أن يكون له صفات لتكون المهيمنة على القبيلة كلها، وكانت من الحنكة والمهارة، والخبرة، والتجربة وحسن البأس والقوة والشجاعة ما صارت به مثلا بين أفرادها[4]، وبعد كل انتصار حققوه القبيلة ويأتوا بالغنائم وعند تقسيم الغنيمة يعد كل غزو، كانت حصة، "الملك زهير بن جذيمة" ليست عن باقي الأفراد فكانت فرسان وعبيد القبيلة يخضعون لأوامره ويستسلمون له في كل شيء ويطاعوا له مجمل القبيلة.

أما ديانة العرب في الجاهلية عديدة وأصحابها هم النصارة واليهود والأحناف والصابئة والوثنيون، كانوا الوثنيين يألفون أكثر من ثلاثة أرباع العرب وأصنامهم تماثيل من حجر أو من خشب

[1] – غازي طليمات، عرفات الأشقر، الأدب الجاهلي، ص415.
[2] – ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوى، ص10.
[3] – عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008م، ص17.
[4] – المرجع نفسه، ص18.

أشهرها ود، سواع، يغوث، ويعوق، نسر وهبل. أما الأوثان فصخور أو شجر كاللات، مناه، العزى.[1]

ولقد كانت قبيلة عبس مثل أكثر القبائل العربية وثنية العقيدة، تعبد الأصنام وتعظمها، كانت تعبد صنم العزى، وكان من أعظم الأصنام [2] وورد كلمة اللات والعزة في أكثر من موضع في سيرة عنترة وكما كانت قبيلة عبس كغيرها من القبائل، ويحجون لمكة. كما جعلوا للحج أشهر حرام وورد في السيرة " أول شهر رجب الفرد الحرام الذي كانت سائر العربان في الجاهلية تحترمه وتحج فيه إلى البيت الحرام زمزم المقام، المشاعر العظام ويعظمونه ويتقربون فيه إلى الآلهة والأصنام من دون الملك العلام ويسجدون لها ويعظمونها ويحترمونها وكان الذي يقيم في القبائل الحلل السادات والنساء والبنات كانوا يخرجون إلى ظاهر الخيام ويظهرون أصنامهم في يوم العيد موافقة لزوار بين الحرام"[3] وكانت كعبة مكة حارسة الوثنية في ذلك الوقت.[4]

إن طبيعة حياة قبيلة بني عبس من تنقل وترحال جعلت منهم من قبائل البدو في المقابل هناك حضر، فتنقلهم جعلهم لبس كباقي الحضر، عدم الاستقرار في العيش وشيوع الأمية. فما بينهم وذلك أثر على حياتهم العقلية. مع ذلك استطاعوا أن يتغلبوا على ما في بيئتهم من معوقات، فكثيرة تطلعهم وقوة ملاحظتهم جعلتهم يعرفون أوقات المطر والرياح والسحب وطلوع النجوم والكواكب استعانوا بها في أسفارهم وزراعتهم.[5] ومع ذلك يمكن أن نذكر لهم إلماما بدائياً بالطب والبيطرة ووقوف على شيء من علم الصناعات والأنساب والفراسة والقيافة والكهانة والعرافة.[6]

[1] - ينظر: جوزيف غريب، الجاهلية أدب وفن تاريخ، ص53.

[2] - ينظر: ديوان عنترة ،تحقيق: محمد سعيد مولوي، ص13.

[3] – السيرة، مج1، ص91.

[4] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص94.

[5] – المرجع نفسه، ص45.

[6] – ينظر: عبد الرحمن عبد الحميد، على، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، ص33.

المبحث الخامس: الدين والحكي التاريخي

بعدا ما أثارت السيرة الشعبية حنق علماء الدين اعترضوا على ترويجها باعتبارها من مضى الخيال، وعدوها ضمنياً من الأمور التي تتعارض مع الأعمال الجادة، فقد تضمنت بعض المؤلفات "العلمية" قصص الحروب القبلية التي دارت في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام التي عرفت باسم " أيام العرب" تمثل حروب تلك القبائل مع أعدائها الخارجيين.[1]

ومثلها في ذلك ما تتضمنه سيرة "عنترة بن شداد"، ولعل العلاقة بين التاريخ والسيرة دفعت إلى تسجيل كل دقائق الأخبار والأحداث التي تتصل بحياة الفرد "البطل" أو بالمجتمع ككل، إضافة إلى ذلك فهي تعني بكل ما هو أخلاقي.[2] وبذلك نستند السيرة الشعبية إلى معطيات تاريخية معروفة يكون أبطال السيرة أغلبها مذكورة في التاريخ فقد حكاها الرواة حول أبطالها تاريخيين معروفين لتصوير بطولات خارقة، وأصحابها عاشوا في الذاكرة الشعبية، وتضخمت أفعالهم عبر الأجيال.[3]

أي أن تلك الشخصيات كانت جزء من التاريخ وكانت لهم قيمتهم الاجتماعية، وأعمالهم البطولية ظلت لها أثر في ذاكرة الإنسان وبذالك تناقلت عبر الأجيال وتضخمت حتى أصبحت شخصيات أسطورية وذلك بإعادة صياغة المواقف من منظور آخر وحذف وزيادة في الأحداث وربطها بالتاريخ، فتجد "عنترة ابن شداد" حروب التي ورد ذكرها في التاريخ وهي حرب ذي قار التي دارت بين العرب والفرس، كما نجد حرب البسوس التي دارت بين بني بكر وتغلب، كذلك داحس وغبراء.

وبهذا انضمت سير أبطال القدامى في مجريات الأحداث الإسلامية، سيرة وراء الأخرى، دون مراعاة لتسلسل الأزمنة التاريخية التي عاشوا فيها، فقد تستدعي الأحداث الأكثر حداثة سيرة سيف بن ذي يزن، وهو أقدم تاريخياً من عنترة، على أن سيرة عنترة من ناحية أخرى، امتدت به الأحداث

[1] – ينظر: توماس هرتزوج، السيرة الشعبية العربية بين كتابة التاريخ والرواية، ص244.

[2] – العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011-2012م، ص39.

[3] – ينظر: نبيلة إبراهيم، البطولات العربية في الذاكرة التاريخية، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1995م، ص155

في زمن متأخر لتغطي الحروب الصليبية وأهم ما يلفت النظر في بطولية هؤلاء الأبطال وغيرهم هو فائض البطولة عندهم، وتوظف هذا الفائض البطولي في خدمة التاريخ والدين والمجتمع.[1]

كما هو الحال بالنسبة إلى سيرة " عنترة بن شداد" الذي ناضل وقاوم إلى أن أثبت بطولته وقد اختبرت كل قدراته واستطاع أن يغلب على كل همومه الشخصية العشائرية القومية، حتى أصبح رمز للعروبة والإسلام في نفس الوقت فيها شيئاً من الإسقاطات التاريخية مما جعل منها سجلا تاريخيا فنجد في سيرة عنترة تصويرا حياً للدين وهو دين التوحيد، خاصةً أنها تمجد في أبطال الدين الإسلامي وكذلك رسم صورة لما يجب أن يكون عليه خلق العربي في المعاملات والعلاقات بل في التقاليد والعادات، وهذه المثل التي ترسمها السيرة إنما هي في جوهرها مثل إسلامية، فالوفاء والمساواة والشرف، والجهاد، والكرم، والحفاظ على العرض، والصدق في المعاملة والقول، أسس إسلامية ثبتتها التعاليم الإسلام[2]، ويتضح في السيرة بأن عنترة يكره الظلم ويدافع عن الحق ويعرف الظلم عن المساكين كما فعل عنترة مع شاس بن زهير من أكبر مبغضيه، وكان غاضباً من قبيلة مبتعداً عنها لكنه عندما عرف بوقوع شاس في الأسر أسرع إلى إنقاذه، وعندما لامه شيبوب وحثه على ترك عدوه يلقى مصيره فقال: "لا تقل هذا المقال ياشيبوب، وكن قريب المرجوع حتى تصير عند الناس محبوب وأعلم أنه لا ينال العلا إلا من ليس عنده حقد ولا ظلم ولا اعتداء، فإن الظلم يا أخي عاقبة الندم ولا تؤمن عواقبه بين الأمم، فدعني أتحمل عن قومي المصائب، ولا أشمت بهم الأعداء ولا الحبائب عسى أن يفرج الله عني.[3] فعنترة يندفع ويساعد قومه، وهذه لما يتحلى من أخلاق كريمة.

كما كانت الديانة التي نتبعها قبائل التي في شبه جزيرة العربية الديانة الوثنية إلا أننا نجد الراوي ويستعمل عبارات التي تدل على الدين التوحيد وهي — حق الرب العظيم رب موسى وإبراهيم ورب زمزم الحطيم–[4]. كما أن البطولات التي يقوم بها عنترة جميعها في الخير فهو يدافع عن نفسه وعن قبيلته. فحروب السيرة حروب قومية ذات مسحة دينية. وهذا طبيعي لأن الدين دين جماعة وقانونها

[1] – المرجع السابق ، ص155.

[2] – ينظر: فاروق خورشيد ومحمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، ص 191–192.

[3] – طلال حرب، أولية النص، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1999م، ص193.

[4] – السيرة، مج1، ص137.

ونظم حياتها، فمعظم الحروب تأتي بين الظالمين و المظلومين، وتكتسي أبعاداً عالمية فتصبح حروباً بين الخير والشر، وبين الحق و الباطل، فحروب سيرة عنترة بين قبيلة عبس وذبيان[1] المعروفة بحرب داحس وغبراء ودامت أربعين سنة.

أن الحرب في السيرة ذات هدف سام، إذ تسعى إلى تحقيق قضية لا إلى إبادة خصم وهذا الهدف هو رفع الظلم والغبن كامل الطبقات الشعبية، واحترام المثل الدينية، والالتزام بتعاليمها.[2]

ونستنتج من خلال ما سبق بأن السيرة الشعبية تستند إلى معطيات تاريخية معروفة في معظم الأحيان وكما كانت الحروب التي تخوضها حروب ذات مسحة دينية.

[1] – المرجع نفسه، ص192.

[2] – المرجع نفسه، ص193.

خـــاتمـــة

ومن خلال ما بسطناه في الفصول السابقة نخلص إلى جمل النتائج الآتية:

- مصطلح السيرة له عدة دلالات لغوية منها الطريقة والهيئة كما أنها أخذت معنى الحكاية القصصية التي تعني بحياة شخصية من الشخصيات أو الجماعة من الجماعات كان لهم أثر في التاريخ.
- السيرة الشعبية جنس أدبي قائم بذاته عمادها السرد القصصي شعرا أو نثرا، بالغ الطول مجهول المؤلف، يروي شفاهيا من جيل إلى جيل، تحافظ على ثباتها فترة طويلة من الزمن كما يمكن اعتبارها نتاج خيال شعبي مبالغ فيه، والإنسان هو بطلها الرئيسي وهي تحتوي على أساسا تاريخيا معروفا.
- السيرة الشعبية فن مستقل بذاته له أهداف فنية واجتماعية وسياسية التي ميزتها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، جعلت منها أكبر الأعمال الأدبية ذات طابع حضاري فهي تؤدي وظائف تربوية ترفيهية وتعليمية جعلت منها مقصد لعدد كبير من الجماهير.
- تعتبر الشخصية أهم مكون من مكونات الخطاب السردي فهو الهيكل المتحرك أو الوسيلة التي يتبعها الكاتب لتعبر عن أهدافه.
- أثبت البطل عنترة بن شداد مكانته رغم العبودية التي نشأ فيها كما برهن على قوة نصله وسيفه.
- جعلت السيرة الشعبية من عنترة بن شداد يمر بمجموعة اختبارات التي أهلته بأن يكون ممثل للجماعة ولقيمها الدينية والدنيوية.
- تعد شخصية البطل عنترة ابن شداد شخصية تاريخية معروفة، ومن صفاته الشجاعة المتمثلة في القوة الجسمية أما الصفات المعنوية فتجسدت في قيم والصبر والعطاء والوفاء كما خاضت حروب وقام ببطولات فهو لا يعرف الهزيمة أبدا، فأقحم نفسه في معارك جبارة وحضر وقائع شديدة.

- تحتوي السيرة الشعبية على أركان الملحمة بما فيها من أعمال بطولية التي يقوم بها البطل والتي تظهر في سيرة عنترة بن شداد بكثرة والمواقف التي يتعرض إليها، وكذلك الخوارق والأساطير.
- كما تمضي السيرة على نسق الملحمة وتصور صور صادقة من حياة الشعب وعاداته وتقاليده ونظمه.

وفي الأخير نعجز على تقديم صورة واضحة المعالم تنفرد وتستقل بها السيرة الشعبية على الأجناس السردية الأخرى بالمماثلة بالأسطورة والملحمة ، ويكفي عرض سمات الجوهرية والوظائف الهامة التي تؤديها فن السيرة الشعبية.

مـــلحق

❖ عنترة الشاعر:

عنترة بن شداد العبسي هو احد أشهر شعراء العرب في فترة قبل الإسلام، ومن ابرز فرسانها،كان أبوه من اشرف بني عبس، و كانت أمه من جارية حبشية وهو شاعر همه له أسلوبه المتميز وصدق النبرة وجمال الصورة وبسطاه العبارة وعمقها، وذكاء الإشارة وحذقها ويكفي أنه تحدى الشعراء بمعلقته وهي واحدة من أجمل المعلقات إن لم تكن أجمرها طراً [1].

ولعنترة بن شداد ديوان شعر أكثره في الفخر والحماسة والغزل العفيف لقد كثر المنحول فيه كما تعددت الروايات في الثابت منه.

والمعلقة أشهر ما في الديوان وهي قصيدة طويلة تقع في نحو تسعة وسبعين بيتا من البحر الكامل[2]، والتي مطلعها:

هَلْ غادَرَ الشُّعَراءُ مِنْ مُتَرَدِمِ أَمْ هَلْ عَرفْتَ الدارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

أَعْياكَ رَسْمُ الدّارِ لم يَتَكَلَّمِ حتّى تَكَلَمَ كالأَصمَّ الأَعْجَمِ[3]

فهي تبدأ بتحدي الشعراء وتثني بغزل عفيف صادق موجه إلى حبيبة قلبه وابنة عمه "عبلة" إلى التي أعجبت بالإنسان فيه، ورأت الجمال الكامل في نفسه الأدبية، وفي المعلقة لوحات فنية لا يستطيعها شاعر سواء عنترة ومنها وصف فرسه وسط الدماء، ومنها أيضا وصف ثغر عبلة الذي شبهه بروضة غناء لم تطأها قدم.

[1] – ينظر: عبد الإله الصائغ، الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، ص265.

[2] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم–، ص205.

[3] – الخطيب التبرزي، شعراؤنا شرح ديوان عنترة، ص 148.

أما عن سبب نظم المعلقة قيل أنه رجل من بني عبس ساب عنترة وعيره بسواد أمه وأخوته فقال له العبسي إمعانا في افتفزازه: " أنا أشعر منك يا عنترة"، فقال عنترة وقد استشاط غضبا: " ستعل غدا من أشعر منا" وكتب معلقته.[1]

وهكذا نجد لشعر عنترة وجهين هامين: وجها غنائيا، وجها قصصيا ملحميا والوجهان مختلفان ممتزجان لا يقوم الواحد بدون الآخر ولا يفهم الواحد إلا مع الآخر.[2]

✓ **عنترة الشاعر الفارس:**

عنترة جمع الصفات التي كان يتجل بها فرسان القرون الوسطى من شجاعة وشرف وقتال هدف أعلى. ومناصرة للضعيف، وحب شديد عفيف لفتاة كريمة يعمل بجهده في إرضائها.

وهو فياض القريحة يلتهب حماسه، فينظم الشعر ويصف مواقع. وإذا نفسه يقترب من نفس الملاحم، فهو يجعلها في جو ملحمي أبطاله سيف الشاعر ورمحه وساعده، وخوارقه أعمال الشاعر التي يضخمها الخيال الخلاق، ويغشي قصصها بالصور والألوان، فتتوالى على السمع والبصر وإيجاز بعيد عن التفصيل. وفي موسيقى شديدة الوقع، ولغة وثابة فيها عزة الشاعر وثورته ومزاجه، وإننا ونحن نقرأ شعره نشعر أننا أما، مرأة هي أشبه شيء بهيلانه التي كانت سبب الحرب بين الإغريق وطروادة م عبلة التي يثور لأجلها ويحارب في سبيلها، ويسفك الدماء أنهاراَ، وأننا أمام بطل هو أشبه شيء بأخيل طيار الخطى، الذي يعتزل الحرب لخلاف نشب بينه وبين أغاممنون ويترك قومه عرضة للتلف: امام عنترة يعتزل الحرب لخلاف نشب بينه وبين قبيلته، لخلاف مردهُ إلى أن عنترة ابن أمة لا يحق له الانتساب إلى قبيلته ولا يحق له أن يكون حراً، ولما اشتد الأمر على عبس وكاد يدركهم التلف صاحوا به "وَيْكَ عنترة أقدم" فيقدم عنترة حُراَ، ويبدد الجيوش الأعداد، وينشر الذعر في البلاد على جواد يكاد يتكلم وسيفه يجز الرؤوس، ورمح يخترق الصدور، ويطير القلوب.[3]

[1] – عبد الإله الصائغ، الأدب الجاهلي وبلاغة الأدب العربي، ص 265-267.

[2] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، 206.

[3] – المصدر السابق، ص211.

❖ **سيرته:**

تعد سيرة عنترة من السير الطويلة، النثرية والشعرية،بطلها عنترة بن شداد العبسي وموضوعها تاريخي أسطوري، ولها ثلاث روايات:

أ- الحجازية: وهي الأصل والأطول.

ب- الشامية: وهي المختصرة عن الأصل.

ج- العراقية: وهي شبيهة بالشامية.

وقد وجدت هذه السيرة على ألسنة الناس منذ العصر الجاهلي، ثم اتسعت وتضخمت بفعل الرواة حتى كان العصر العباسي، فإذا هي في موضوع ضخم، ينطوي على مادة تاريخية وخيال رحب مثل لنا صور البطولة وخوارق الأعمال، وصور لنا أخلاق العروبة ومحامد الخصال.[1]

✓ **موضوعها:**

تتبلور سيرة عنترة حول شاعر فارس، وبطل حقق لنفسه السيادة بعد العبودية، وكانت فروسيته هي الوسيلة الناجعة في هذا الانتقال الطبقي من ناحية، وفي فوزه بمحبوبته "عبلة" ابنة عمه مالك من ناحية أخرى.[2]

وكل هذا جعل بعض المستشرقين يذهب إلى أن هذه السيرة هي إلياذة العرب؛ ففيها بعض ما يميز الملاحم، كالأخبار البطولية والمواقع الحربية ووصف المشاهد، وتشبيه الأبطال بالحصون، وسرايا الجيش بعصائب الطير، والفرس بالريح وما إلى ذلك مما يدور عليه موضوع الملاحم العالمية.

ومن ثم كانت لهذه السيرة قيمة تاريخية وفنية حقه، جعلتها حديث المتسامرين، وسلوة الساهرين. وقد طبعت طبعات مختلفة وترجمت – بكاملها أو جزئية- إلى عدة لغات؛ لأنها سجل لتاريخ عربي قديم، ومظهر من مظاهر عادتهم العرقية،و مجالا من مجالات بطولاتهم الأصلية.[3]

---

[1] – رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، ص36.

[2] – عبد العاطى الشلبي، فنون الأدب، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2005م، ص18.

[3] – المرجع السابق،ص36.

✓ **واضعها:**

كان من أهمية عنترة الشاعر البطل، أن لجأ العرب في أواخر عصر بني العباس إلى كتابة ما يسمى بسيرة عنترة، على أن كاتب السيرة ظل مجهولا، إذ قال بعضهم أن مؤلفها هو الأصمعي لورود اسمه تكرارا في سياق الرواية، ولكن ذلك لا يصلح دليلا على التأليف خاصة وان أسماء كثيرة لرواة آخرين قد وردت كأبي عبيدة وجهينة، ونجد بن هاشم وغيرهم. إلا أن الأنظار تتجه إلى الأديب يوسف بن إسماعيل كاتب الحاكم بأمر الله الفاطمي،في القرن الرابع هجري أي العاشر الميلادي وقد وضعها بناءا على رغبة الخليفة ليصرف الناس عن ريبة وقعت في قصره، وتناقلتها الألسن. وهذا القول غير ثابت لان التاريخ لا يذكر كاتب في العهد الفاطمي بهذا الاسم، كما انه لا يذكر ريبا وقعت في قصر أي خليفة فاطمي.

ويرى بعض المستشرقين بان هذه السيرة لم توضع إلا في القرن السادس للهجري، أي الثاني عشر للميلاد، وان واضعها هو احد أطباء وشعراء العراق المشهورين المسمى أبو المؤيد بن الصائغ الملقب بالعنتري، وقد استند هذا المستشرق إلى ما ورد في كتاب ابن أبي أصيبعة"عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ومن أن العنتري كان في أول أمره يكتب أحاديث عنترة العبسي فصار مشهورا بنسبته إليه.[1]

✓ **أسلوبها:**

ظهر لنا أن سيرة عنترة هزيلة الفن القصصي في مجملها، لخلوها من الوحدة التأليفية ومن وحدة العمل، وهي إلى ذلك هزيلة الأسلوب لركاكة عبارتها وضعف ترابط أجزائها، واعتمادها السجع السخيف، وتكرار العبارات المبتذلة، وتوخيها التأثير عن طريق المغالاة، إلا أنها لا تخلوا من مشاهد أخاذة كمشهد موت عنترة.[2]

[1]- الخطيب التبريزي، شعراؤنا شرح ديوان عنترة، ص13.

[2] - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم-، ص601.

✓ **مميزات السيرة:**

إن السيرة تصور عنترة بطلا هائلا وفارسا أسطوريا أشبه بأبطال الملاحم، يخوض المعارك والأهوال، ثم يخرج للأمم في بلاد فارس و بلاد الشام، ثم ينتقل إلى الأحباش وبلاد الروم، حتى يصل إلى السودان والجزائر، فتبلغ شهرته الإنس والجان، كما تصور السيرة الأحداث بشكل مضخم فتجعل بني عبس منهزمين، وقد غاب عنهم عنترة ثم تتبدل الحال فجأة حين يظهر "فارس أسود اللون غاطس بالحديد والزرد، كأنه قطعة فصلت من جبل"، فينقلب مصير المعركة وتتحول الهزيمة إلى نصر مبين.

أما الأحداث فان السيرة تتناولها مضخمة وفيها الكثير من المبالغة، ولا سيما حين يتصل الأمر بشخصية عنترة، فإذا به"وصل إليهم وهجم عليهم وصاح فيهم وزمجر، والتقاهم بالأسمر والأبتر ثم انه طعن خصمه طعنة جبار، فاخرج الرمح من ظهره عشرة أشبار، فملأ الدم الأودية والبطاح وحجب الغبار نور الصباح".[1]

وفي الأخير، يمكن أن نستنتج بان سيرة عنترة بن شداد العبسي كان لها أثر كبير في نفسية لمجتمعات ولها قيمة عظيمة في تاريخ الأدب.

[1] – المرجع نفسه،ص15.

قائمة المصادر والمراجع

✓ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

❖ المصادر

1. سيرة عنترة بن شداد، مكتبة الجمهورية المصرية العربية، مطبعة عاطف وسيد طه وشركائهما مج1.
2. سيرة عنترة بن شداد، مكتبة الجمهورية المصرية العربية، مطبعة عاطف وسيد طه وشركائهما مج5.
3. سيرة عنترة بن شداد، مكتبة الجمهورية المصرية العربية، مطبعة عاطف وسيد طه وشركائهما مج7.
4. سيرة عنترة بن شداد، مكتبة الجمهورية المصرية العربية، مطبعة عاطف وسيد طه وشركائهما مج8.
5. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت لبنان ج3.
6. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: إشراف العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2005م.
7. المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط5، المطبعة الكثوليكية، بيروت، لبنان، 1927م.
8. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج11، 1990م.
9. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج12، 1990م.

10. ابن منظور،لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج4، 1990م.

❖ **المراجع:**

11. إحسان عباس، فن السيرة، ط1، دار الشروق، عمان، 1996م.

12. أحمد زغب، الأدب الشعبي درس وتطبيق، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، 2008م.

13. أحمد سويلم، الشخصية العربية في التراث الأدبي، ط1، دار العالم العربي، القاهرة 2009م.

14. أمينة فزازي، منهاج دراسات الأدب الشعبي، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011م.

15. جوزيف غريب الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه، دار الثقافة، بيروت.

16. جوزيف غريب، الجاهلية أدب وفن وتاريخ، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1978م.

17. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2005م.

18. خطري عرابي، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية، سيرة سيف بن ذي يزن انموذج، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة.

19. الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ط1، دار الكتاب، العربي، بيروت، 1992م.

20. رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة.

21. زكريا صيام، دراسات في الشعر الجاهلي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

22. السعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت، 1997م.

23. سيد القمنى، الأسطورة والتراث، ط3، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، مصر 1999م.

24. شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 2003م.

25. شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1970م.

26. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي-، ط24، دار المعارف، القاهرة 2003م.

27. شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، ط1، دار الحداثة، بيروت.

28. طلال حرب، أولية النص، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1999م.

29. عبد الإله الصائغ، الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، ط1، دار الفكر المعاصر، صنعاء اليمن، 1999م.

30. عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

31. عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، الجزائر 2007م.

32. عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي، المكتبة الثقافية، القاهرة.

33. عبد الرحمن عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث القاهرة، 2008م.

34. عبد العاطى الشبلي، فنون الأدب، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2005م.

35. عبد الملك مرتاض، الميثولوجيا عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

36. غازي طلميات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي الجاهلي، ط1، دار الإرشاد 1992م.

37. فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

38. فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر 2004م.

39. فاروق خورشيد، أضواء على السيرة الشعبية، منشورات اقرأ، بيروت، لبنان.

40. فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، منشورات اقرأ، ط2، 1980م.

41. فراس سواح، الأسطورة والمعنى، ط1، دار علاء الدين للنشر وتوزيع.

42. كارم محمود عزيز، أساطير العالم القديم، ط1، مكتبة الناقد، الجيزة، 2007.

43. لطفي الخوري، علم التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1979م.

44. ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ وفن، ط1، مكتبة النهضة المصرية، 1970م.

45. مجمع في اللغة العربية، معجم الوسيط، ط2، دار المعارف، مصر، 1972م.

46. محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ط1، دار محمد علي، تونس، 2010م.

47. محمد بوزواري، معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009م.

48. محمد ذهبي، الأدب الشعبي العربي مفهوم ومضمون، مطبوعات جامعة القاهرة، بالخرطوم 1972م.

49. محمد رجب النجار وآخرون دراسات في المجتمع العربي، ط1، اتحاد الجامعات العربية عمان، الأردن، 1958م.

50. محمد رجب النجار، الأدب في التراث الشعبي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2006م.

51. محمد رجب النجار، التراث القصصي في الأدب العربي، ط1، مكتبة ذات سلاسل الكويت، 1990م.

52. محمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ص 23.

53. محمد سعيد مولوي، ديوان عنترة، المكتب الإسلامي، القاهرة، مصر، 1963م.

54. مرسي صباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء، الإسكندرية.

55. مرسيا إلياد، مظاهر الأسطورة، ط1، ترجمة: نهاد خياطة، دار كنعان، دمشق، سوريا 1991م.

56. نبيلة إبراهيم، البطولات العربية في الذاكرة التاريخية، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 1995م.

57. نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.

58. نبيلة إبراهيم، سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، 1985م .

59. النصر إسماعيل الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحداثة، القاهرة، 2009م.

60. نعمة الله إبراهيم، السيرة الشعبية العربية، ط1، شركة المطبوعات لتوزيع والنشر، بيروت لبنان، 1994م.

61. نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، ط2،المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2011م.

62. يوسف إسماعيل، الرؤيا الشعبية في الخطاب الملحمي عند العرب، سيرة الأمير ذات الهمة أنموذجا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م.

❖ **المراجع الأجنبية:**

63. Exford, ben francis, richard poole, second edition, oxford university press, 2009.

64. Larousse, edition limitée, paris, 2014.

❖ **الرسائل الجامعية:**

- شوقي رقادة، الشخصيات في السيرة الشعبية، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2007-2008م.
- العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2011-2012م.

❖ **المجلات:**

- توماس هرتزوج، السيرة الشعبية العربية بين الكتابة التاريخ والرواية، ترجمة: باتسى جمال الدين، مجلة النقد الأدبي فصول، ع67، 2005م.
- صالح جديد، أشكال التعبير في السيرة الشعبية العربية، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، السنة السادسة، 2013م، ع 20.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
المقدمة	أ
الفصل الأول:السيرة الشعبية مقاربة مفاهيمية	
تمهيد	5
المبحث الأول: مفهوم السيرة	6
المبحث الثاني: مفهوم السيرة الشعبية	9
المبحث الثالث: السيرة الشعبية والأجناس الأدبية الأخرى	16
المبحث الرابع: خصائص السيرة الشعبية	24
المبحث الخامس: وظائفها	27
الفصل الثاني: المكون الملحمي في سيرة عنترة بن شداد	
تمهيد	30
المبحث الأول: رسم شخصية البطل	31
المبحث الثاني: تصوير المواقف الشجاعة	38
المبحث الثالث: القتال والمواقف العظيمة	46
المبحث الرابع: حياة الشعب	52

المبحث الخامس: الدين والحكي التاريخي	55
خاتمة	59
الملحق	62
قائمة المصادر والمراجع	68
فهرس الموضوعات	76

الملخص:

إن الدراسة التي قمت بها تتمحور حول" المكون الملحمي حول سيرة عنترة بن شداد".

تعتبر السيرة الشعبية نوع من أنواع القص الشعبي العربي ذات قيمة عظيمة، فهي تصور حياة الإنسانية من كل جوانبها، كما جاء في سيرة عنترة بن شداد، فهي من السير التي لقيت اهتماما كبيرا من قبل الجماهير وذلك لما تحمله من قيم اجتماعية وأخلاقية التي تعكس قيم البيئة العربية. فبطل السيرة دائما يصارع الأعداء من اجل الحق، كما هو فارس والفارس يتميز بالشجاعة والإخلاص الحب والصدق. كما صور المجتمع أبطال هذه السير بالبطولة و الفروسية. ومن هنا يمكننا الحديث عن أهمية الموضوع وهو ملحمية السيرة.

فقد تطرقت في دراستي هته إلى مفهوم السيرة الشعبية مع علاقتها بالأجناس الأدبية الأخرى هذا ومع ذكر السمات التي تميزها، والوظائف التي تؤديها، كما عرضت المكون الملحمي في سيرة عنترة بن شداد وذلك من خلال رسم شخصية البطل وذكر المواقف الشجاعة والبطولات التي خاضها،إضافة إلى ذلك أن هذه السيرة قد صورت حياة الشعب بكل تفاصيلها. ولنخلص في الأخير إلى أن سيرة عنترة تحتوي أركان الملحمة البطولية كلها، فهي تقدم رؤية خاصة ومميزة تعبر عن همومهم وأفكارهم.